حكايات الفرسان

سِرُّ المَلِك






يَتَحَوَّلُ العَديدُ مِنَ الرِّجالِ إلى أَبْطالٍ أُسْطوريِّينَ تُحاكُ مِنْ حَوْلِهِم ٱلأَخْبارُ ٱلخارِقَةُ ، وَتُرْوَى ٱلحِكاياتُ وَٱلأَعاجيبُ . مِنْ هٰؤُلاءِ ٱلمَلِكُ آرْثَر وَما يُرْوى عَنْ سَيْفِهِ ٱلعَجيبِ وَفُرْسانِهِ وَمائِدَةِ ٱلفُرْسانِ ٱلمُسْتَديرَةِ . وَأَمّا ٱلأَساسُ ٱلتّاريخِيُّ لِهٰذِهِ ٱلحِكاياتِ فَهُوَ أَنَّ أَحَدَ ٱلفُرْسانِ ٱلإِنْكليز قادَ بَعْدَ خُروجِ ٱلرُّومانِ مِنْ بريطانيةَ فَريقاً مِنْ رِجالِهِ ضِدَّ ٱلغُزاةِ مِنَ ٱلسَّكْسون ، فَنُسِجَتْ حَوْلَ بُطولاتِهِ ٱلأَساطيرُ .

وَمَعَ أَنَّ هٰذِهِ ٱلبُطولاتِ ذاتُ صِبْغَةٍ خَياليَّةٍ ، فَهِيَ تُمَثِّلُ في مَجْموعِها ٱلمُثُلَ ٱلعُلْيا ٱلَّتي يُؤْمِنُ بِها ٱلنّاسُ بِعامَّةٍ . وَلا شَكَّ أَنَّ بَيْنَ ٱلمُثُلِ ٱلَّتي نَراها هُنا ، وَبَيْنَ مُثُلِ ٱلفُروسيَّةِ ٱلعَرَبيَّةِ شَبَهاً كَبيراً . فَها هُنا ٱلفُرْسانُ ، أَيْضاً ، يَنْصُرونَ ٱلضَّعيفَ ، وَيَحْمونَ ٱلمَرْأَةَ ، وَيَذودونَ عَنِ ٱلحِياضِ ، وَيَلْتَزِمونَ كَلِمَةَ ٱلشَّرَفِ وَلا يَغْدُرونَ بِٱلخَصْمِ ، وَيَحْفَظونَ ٱلصَّداقَةَ وَٱلوَفاءَ ، وَيَتَمَسَّكونَ بِٱلحُبِّ ٱلنَّبيلِ ٱلشَّريفِ ٱلَّذي تَهونُ في سَبيلِهِ ٱلتَّضْحِياتُ .

وَجاءَتْ حِكاياتُ ٱلفُرْسانِ هٰذِهِ بِأُسْلوبٍ قَصَصِيٍّ رائِعٍ يَجْمَعُ بَيْنَ ٱلتَّشْويقِ وَفَصاحَةِ ٱلتَّعْبيرِ وَبَساطَتِهِ ، مِمّا يَزيدُ مِنْ أَثَرِها في نُفوسِ ٱلصِّغارِ وَٱلكِبارِ عَلى ٱلسَّواءِ . وَهِيَ إلى ذٰلِكَ تُوَسِّعُ مِنْ آفاقِنا بِٱلتَّعَرُّفِ إلى أَخْلاقِ ٱلشُّعوبِ وَعاداتِها وَطَبيعَةِ حَياتِها .

طُبِعَ في انكلترا

سِرُّ المَلِك

تأليف : دِزْمُنْد دَنْكِرْلي

رسوم : روبرت آيتون

نقله الى العربيّة : الدّكتور ألبير مُطْلَق



النّاشرون :

مكتبة لبنان
بيروت

ليديبرْد بُوك ليمتد
لافبورو

لونغمان
هارلو



اَلسَّيْفُ اَلْمَغْروسُ في الصَّخْرِ

رَقَدَ مَلِكُ بريطانيَةَ العَجوزُ ، أُوثِر پِنْدراجون ، في سَريرِ قَصْرِهِ يصارِعُ اَلْمَوْتَ . وإلى جانِبِ اَلسَّريرِ رَكَعَتْ زَوْجَتُهُ اَلْمَلِكَةُ إيجْرين ، بَيْنما وَقَفَ اَلسّاحِرُ ميرْلِن قُبالَةَ اَلسَّريرِ ، يَلوحُ في عَيْنَيْهِ وَقارُ اَلْمَعْرِفَةِ وَاَلحِكْمَةِ وَيعْلو رَأسَهُ شَيْبُ اَلشَّيخوخَةِ . وَفي تِلْكَ اَلقاعةِ ذاتِ اَلضَّوْءِ اَلخافتِ تَجَمَّعَ فُرْسانُ اَلبِلادِ وَنُبَلاؤها اَلعِظامُ يَتهامَسونَ تَهامُسًا مَحْمومًا جَزَعًا على حالَةِ بلادِهِم اَلْمُضْطَرِبَةِ .

فَلَقَدْ كانَ قَراصِنَةُ اَلسَّكْسونِ يُغيرونَ مُنْذُ سَنَواتٍ عَلى اَلسَّواحِلِ فَيُحْرِقونَ وَيَقْتلون . وَكانَ دُخانُ غاراتِهِم اَلأخيرَةِ لا يَزالُ يَرْتَفِعُ في سَماءِ اَلنّاحيَةِ اَلغَرْبِيَّةِ . وَلَمْ يَكُنْ قَدْ مَنَعَهُمْ مِنَ اَلتَّوَغُّلِ في اَلبِلادِ إلّا شَجاعَةُ اَلْمَلِكِ أُوثِر وَجُرْأَتُهُ ، فَإِنَّهُ كانَ قَدْ لاقاهُمْ في مِئاتِ اَلمَعارِكِ وَقَهَرَهُمْ وَدَحَرَهُم وَرَدَّهُمْ إلى اَلشَّواطِئِ وَأَجْبَرَهُمْ على أَنْ يَلوذوا بِسُفُنِهِم اَلطَّويلَةِ . وَكانَتْ شَجاعَةُ هٰذا اَلْمَلِكِ مَثَلاً اَحْتَذاهُ مُلوكُ اَلمَمالِكِ اَلْمُجاوِرَةِ ، فَاجْتَمَعوا وَحارَبوا اَلغُزاةَ مَعًا وَأَوْقَفوا مَدَّهُمْ .

أَمّا اَلآنَ ، فَها هُوَ اَلْملِكُ اَلعَظيمُ مُسْتَلْقٍ عَلى فِراشِ اَلْمَوْتِ دونَ أَنْ يُسَمِّيَ خَلَفًا لَهُ . في حينَ كانَ كُلُّ واحِدٍ مِنَ اَلْمُلوكِ اَلَّذين تَجَمَّعوا في اَلقاعَةِ يَأْمُلُ أَنْ يُعَيِّنَهُ أُوثِر مَلِكًا عَلى بريطانية .

وَحَلَّ ٱلصَّمْتُ فَجْأَةً في ٱلقاعَةِ حينَ بَدا أَنَّ ٱلمَلِكَ يَجْهَدُ مُحاوِلًا ٱلكلامَ . أَمْسَكَتِ ٱلمَلِكَةُ إيجْرين بِيَدِ زَوْجِها ٱلضَّعيفَةِ ، وَأَقْبَلَ ٱلعَجوزُ ميرلِن يَسْنُدُ ٱلمَلِكَ ٱلَّذي كانَ يُحاوِلُ رَفْعَ رَأْسِهِ . وَتَجَمَّعَ ٱلقَوْمُ حَوْلَ ٱلسَّريرِ انْتِظارًا لِكَلِماتِ ٱلمَلِكِ . تَجَمَّعوا كُلُّهم ما عدا ٱمْرَأَةً جَميلَةً طَويلَةً ذاتَ وَجْهٍ مُتَعَجْرِفٍ وَعَيْنَيْنِ كَٱلماسِ بَريقًا وَقَساوَةً . تِلْكَ ٱلمَرْأَةُ كانَتْ مورْجان لو فاي ، أُخْتَ ٱلمَلِكِ غَيْرَ ٱلشَّقيقَةِ ، وَٱلَّتي بَدَتْ شَديدَةَ ٱلثِّقَةِ من أَنَّ ابْنَها موردْرِد ، ٱلَّذي كانَ إلى جوارِها ، سَيُنَصَّبُ مَلِكًا ، فَانْتَحَتْ جانِبًا هادِئَةً مُطْمَئِنَّةً . وَكانَ ٱلكَثيرون يَزْعُمون أَنَّها تَمْتَلِكُ مِنَ ٱلقُوى ٱلسِّحْرِيَّةِ ما يَكادُ يُوازي قُدْرَةَ ٱلعَجوزِ ميرلِن نَفْسِهِ ، لِذا كانوا يَهابونَها وَيَتَجَنَّبونَها .

وَجاءَ صَوْتُ ٱلمَلِكِ واهِنًا لا يَكادُ يُسْمَعُ في ٱلقاعَةِ ٱلواسِعَةِ . قال :

«بِمَشيئَةِ ٱللهِ ، أَطْلُبُ أَنْ يَكونَ ابْني مَلِكًا مِنْ بَعْدي ، وَأَطْلُبُ أَنْ يُبايِعَهُ رَعاياي جميعًا .» ثُمَّ أَسْلَمَ ٱلرّوحَ .

وَحَتّى في تِلْكَ ٱللَّحْظَةِ ٱلمَهيبَةِ ضَجَّتِ ٱلقاعَةُ بِلَغَطٍ مَحْموم . وَنَظَرَ ٱلرِّجالُ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ في عَجَبٍ إذ لَمْ يَكونوا يَعْرِفونَ أَنَّ لِلْمَلِكِ أُوثِر وَلَدًا . أَمّا ٱلمَلِكَةُ وَٱلعَجوزُ ميرلِن فَقَدْ ظَلّا صامِتَيْنِ . رَمَتِ ٱلمَلِكَةُ رَأْسَها بِحَنانٍ على يَدَيِ ٱلمَلِكِ ، بَيْنَما وَقَفَ ميرلِن يَنْتَظِرُ سُكونَ ٱلصَّخَبِ لِيَقولَ كَلِمَتَهُ . وَلكِنْ سَبَقَتْهُ إلى ٱلكلامِ مورْجان لو فاي وَراحَ صَوْتُها ٱلبارِدُ ٱلقاسي يَرِنُّ في ٱلقاعَةِ وَهِيَ تَقولُ :





«لَنْ يَكونَ ذٰلِكَ ، فَالْمَلِكُ أوثِر لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ . ابْني موردْرِد هُوَ المَلِكُ الشَّرْعِيُّ بِالوِراثةِ» .

وَضَجَّتِ القاعةُ ثانِيَةً ، إذْ كانَ الحاضِرونَ يَرَوْنَ كلامَها حَقًّا ، وَإنْ يَكُنْ أكْثَرُهُمْ يَكْرَهونَ أنْ يُوَلَّى موردْرِد مَلِكًا عَلَيْهِمْ . وَعِنْدَئِذٍ رَفَعَ ميرلِن يَدَهُ وَقالَ :

«أَيُّها السّادَةُ ، اصبِروا وسَتَنْجَلي الحَقيقَةُ . لِنَلْتَقِ ثانيةً بَعْدَ ثلاثةِ أسابيعَ في المَعْبَدِ ، وَعِنْدَها تَرَوْنَ مَلِكَكُمُ الشَّرْعِيَّ» .

وَأَخَذَ الحُضورُ يَتْرُكونَ القاعةَ فُرادى وجماعاتٍ . وكانَ العَديدُ مِمَّنْ خَدَموا المَلِكَ في حَياتِهِ وحارَبوا إلى جانِبِهِ وأحَبُّوهُ يَقِفونَ لَحْظَةَ صَمْتٍ عِنْدَ جُثْمانِهِ ثُمَّ يَخْرُجونَ . أمّا الّذينَ كانوا يَطْمَعونَ في المُلْكِ فَقَدْ خَرَجوا غاضِبينَ مُهَمْهِمينَ دُونَ أنْ يُوَدِّعوا المَلِكَ الوَداعَ الأخيرَ .

وَانْتَظَرَ ميرلِن حَتّى خَلَتِ القاعَةُ ثُمَّ أمْسَكَ بِيَدِ المَلِكَةِ الرّاكِعَةِ وَرَفَعَها ، وَوَقَفا مَعًا يتأمّلانِ الجُثْمانَ . وفَجْأَةً ارْتَفَعَ مِنْ بَيْنِ الظِّلالِ صَوْتُ مورْچان لو فاي الغاضِبُ قائلاً :

«أَيُّها العَجوزُ ، أقولُ لَكَ مَرَّةً أُخْرى إنَّ ذٰلِكَ لَنْ يَكونَ . فَلَيْسَ مِنْ وَريثٍ لِلْعَرْشِ سِوى ابْني ، وَلَنْ يَحْكُمَ المَمْلَكَةَ غَيْرُهُ .»

ارْتَعَشَتِ المَلِكَةُ إيچرين ، أمّا ميرلِن فَقَدْ وَقَفَ بِمَهابَةٍ يُراقِبُ مورْچان لو فاي تُغادِرُ المكانَ وَمِنْ ورائها ابْنُها .

وَما إنِ اقْتَرَبَ المَوْعِدُ المَضْروبُ حَتّى أَخَذَ النّاسُ مِنْ أَطْرافِ البِلادِ يَتَوَجَّهونَ إلى المَعْبَدِ . وَراحَ القَوْمُ : نُبَلاؤهُمْ وَعامَّتُهُمْ ، يَحْتَشِدونَ لِيَعْرِفوا مَنْ سَيكونُ مَليكَهُمْ .

وَفي المَساءِ السّابِقِ لِلْيَوْمِ المَوْعودِ كانَتِ البَلْدَةُ تَضِجُّ بِصَليلِ السِّلاحِ وَوَقْعِ أَقْدامِ الرِّجالِ الوافِدينَ مِن مُلوكٍ أَقْوِياءَ وَأُمَراءَ وَلورْدات ، وأَتْباعِ هؤلاءِ جَميعًا . كانَتِ الأَزِقَّةُ تَضيقُ بِالمُواطِنينَ وَالجُنودِ المُتَلَهِّفينَ لِلِقاءِ اليَوْمِ التّالي .

وَبَدأَ النّاسُ يَتَوَجَّهونَ قَبْلَ الفَجْرِ بِوَقْتٍ طَويلٍ نَحْوَ المَعْبَدِ الواقِعِ وَسطَ الحُقولِ خارِجَ أَسْوارِ المَدينَةِ .



وَكانَ مِنْ بَيْنِ ٱلوافِدينَ فارِسٌ اسْمُهُ السِّير إكْتُور المورْفِيّ . لَمْ تَكُنْ مُمْتَلَكاتُ ذٰلِكَ الفارِسِ وَقَلْعَتُهُ بِبَعيدَةٍ عَنِ ٱلبَلْدَةِ ، وَكانَ قَدْ بَدَأَ رِحْلَتَهُ ذٰلِكَ ٱلصَّباحَ يَصْحَبُهُ ٱبْنُهُ ، السِّير كاي ، وَأَخو ابْنِهِ في ٱلرِّضاعِ آرْثَر . مَضى السِّير إكتور عَلى جَوادِهِ صامِتًا ، إذْ كانَ صَديقًا حَميمًا لِلْمَلِكِ أُوثِر وَمُرافِقًا لَهُ ، يَحْمِلُ في جَسَدِهِ آثارَ ٱلجُروحِ ٱلَّتي أُصيبَ بِها في حُروبِهِ ضِدَّ غُزاةِ ٱلسَّكْسون . وَها هُوَ الآنَ عَلى جَوادِهِ



تَمُرُّ في خَيالِهِ ذِكْرَياتُ تِلْكَ الأَيّامِ ، وَيَتَخَوَّفُ مِنَ ٱلمَخاطِرِ ٱلَّتي قَدْ يَتَعَرَّضُ لَها بَلَدٌ بِغَيْرِ مَلِكٍ . وَراحَ يَتَساءَلُ عَمَّنْ سَيَكونُ ٱلمَلِكَ مِنْ بَيْنِ أُولٰئِكَ ٱلسّادَةِ ٱلمُتَناحِرينَ ، وَلِمَنْ سَتَكونُ ٱلغَلَبَةُ . وَكانَ يَخْشى أَنْ يَتَوَلّى ٱلمُلْكَ رَجُلٌ لَيْسَ لَهُ مِنَ ٱلقُوَّةِ أَوِ ٱلشَّجاعَةِ ما يُمَكِّنُهُ مِنْ أَنْ يَقودَ ٱلحَرْبَ ٱلمُتواصِلَةَ ضِدَّ ٱلتَّهْديدِ السَّكْسونِيِّ . وَكانَ أَشَدَّ ما يَخْشاهُ أَنْ تَنْتَصِرَ مورْجان لو فاي ، هِيَ وَابْنُها ٱلغاشِمُ ٱلماكِرُ . فَلَقَدْ تَناهَتْ إلى مَسامِعِهِ إشاعاتٌ بِأَنَّهُ كانَ بَيْنَ هٰذَيْنِ وَبَيْنَ زُعَماءِ السكسون صداقَةٌ ، وَأَنَّهُما لَنْ يَتَوَرَّعا عَنْ طَلَبِ ٱلعَوْنِ مِنَ ٱلعَدُوِّ لِكَسْبِ ٱلمُلْكِ .

وَانْفَرَجَتْ أَساريرُ السِّير إكتور فَجْأَةً حينَ تَذَكَّرَ ميرلِن . فَلَقَدْ كانَ يَعْرِفُ ٱلشَّيْخَ مُنْذُ عَهْدٍ بَعيدٍ ، وَيَثِقُ بِهِ ثِقَةً كَبيرَةً .

أَمّا السِّير كاي وَآرْثَر ، أَخوه في ٱلرِّضاعِ ، فَلَمْ يَكونا صامِتَيْنِ . فَذٰلِكَ ٱليَوْمُ ٱلعَظيمُ أَثارَ فيهِما ٱلحَماسَةَ وَراحا يَتَحَدَّثانِ بِحَمِيَّةٍ وَلَهْفَةٍ ، وَلَمْ يَتَوَقَّفا عَنِ ٱلكَلامِ إلّا حينَ تَحَدّى أَحَدُهُما ٱلآخَرَ في مَنْ يَصِلُ أَوَّلاً إلى شَجَرَةٍ تَقَعُ في ٱلطَّريقِ إلى ٱلبَلْدَةِ .

وَبَعْدَ ذٰلِكَ ٱلسِّباقِ وَجَّهَ ٱلسِّير كاي كَلامَهُ إلى آرْثر وَهُوَ يَلْهَثُ قائلاً : «سَأَلْتَحِقُ بِفِرْقَةِ السِّير بِدفير لِمُحارَبَةِ ٱلسَّكْسون . وَلَكَ أَنْ تُرافِقَني ، إذا شِئْتَ ، وَتَحْمِلَ لي رُمْحي .»

وَبَعْدَ لَحْظَةِ صَمْتٍ مُتَأَمِّلَةٍ أجاب آرْثر بِلُطْفٍ : «لَنْ أَحْمِلَ الرُّمْحَ لِإِنْسانٍ ، وَلَنْ أَلْتَحِقَ بِفِرْقَةِ أيٍّ كانَ ، بَلْ سَأَحْمِلُ رُمْحي وَأَقُودُ فِرْقَتي .»

فَانْفَجَرَ السّير كاي بِضِحْكَةٍ جَعَلَتْ فَرَسَهُ يَشِبُّ مُجْفِلاً . ثُمَّ قال : «أَأَنْتَ الَّذي لَمْ تُقاتِلِ السَّكْسون غَيْرَ مَرَّتَيْنِ تُريدُ أَنْ يَكونَ لَكَ فِرْقَتُكَ ؟ كُلُّ شَيْءٍ مُمْكِنٌ ! وَلكِنَّ سَيْفَكَ لَمْ يُصِبْهُ شَرَفُ التَّثْليمِ في القِتالِ إلّا قَليلاً ، أَمّا سَيْفي ..» وَهُنا ضَرَبَ يَدَهُ على جَنْبِهِ لِيَمْتَشِقَ سَيْفَهُ ، فَلَمْ يَجِدْهُ ، فَانْزَعَجَ وَقالَ :

«سَيْفي ! نَسيتُ سَيْفي ! العَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطانِ !»

ضَحِكَ آرْثر وَهوَ يَقولُ : «سَتَكونُ مِنْ مُحارِبي السّير بِدفير الأَشِدّاءِ . وَلكِنْ لا تَخَفْ ، سَيَكونُ لَكَ سَيْفُكَ ، سَأَعودُ وَآتيكَ بِهِ .» وَعِنْدَها أَدارَ آرْثر جَوادَهُ وَانْطَلَقَ في اتِّجاهِ القَلْعَةِ ، إلّا أَنَّهُ وَجَدَ بَوّابَةَ القَلْعَةِ مُقْفَلَةً ، وَأَنَّ كُلَّ مَنْ فيها قَدِ ارْتَحَلُوا إلى البَلْدَةِ .

اِنْطَلَقَ آرْثر عائِدًا بِأَقْصى سُرْعَةٍ ، وَقالَ في سِرِّهِ : «فَلْيَأْخُذْ كاي سَيْفي .» وَحِينَ وَصَلَ البَلْدَةَ وَجَدَ شَوارِعَها خالِيَةً مَهْجورَةً إذ كانَ النّاسُ قَدْ تَجَمَّعوا في الحُقولِ خَلْفَ المَعْبَدِ ، وَفي المَعْبَدِ نَفْسِهِ . وَبَيْنَما



كانَ آرْثر يَمُرُّ في باحَةِ المَعْبَدِ اسْتَوْقَفَهُ فَجْأَةً مَشْهَدٌ مُذْهِلٌ . فَلَقَدْ رأى في طَرَفِ الباحَةِ الأَقْصى ، وَتَحْتَ شَجَرَةِ صَنَوْبَرٍ عَتيقَةٍ كاسِيَةٍ ، صَخْرَةَ صَوّانٍ ضَخْمَةً يَعْلوها سِنْدانٌ ، وَقَدْ غُرِسَ في السِّنْدانِ سَيْفٌ عَظيمٌ مَهيبٌ .



اِقْتَرَبَ آرْثَر مِنَ ٱلصَّخْرَةِ وَهُوَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ قائلاً : «هذا ٱلسَّيْفُ مِنْ حَظِّ ٱلسِّير كاي .» ثُمَّ أَمْسَكَ بِمَقْبِضِ ٱلسَّيْفِ وَسَحَبَهُ مِنَ ٱلسِّنْدانِ فَٱنْسَحَبَ بِيُسْرٍ . فَٱنْطَلَقَ بِصَيْدِهِ باحِثًا عنِ السِّير كاي فَوَجَدَهُ مُنْتَظِرًا إِيّاهُ بِلَهْفَةٍ .

نَظَرَ ٱلسِّير كاي إلى آرْثَر في ذُهولٍ وَهُوَ يُسَلِّمُهُ ٱلسَّيْفَ ٱلعَظيمَ ، ثُمَّ قالَ لَهُ : «مِنْ أَيْنَ لَكَ هٰذا ؟» وَلٰكِنْ قَبْلَ أَنْ يَتَمَكَّنَ آرْثَر مِنَ

ٱلإجابَةِ سُمِعَ صَوْتٌ يُرَدِّدُ ٱلسُّؤالَ نَفْسَهُ . وَكانَ ميرلِن هُوَ صاحِبَ ذٰلِكَ ٱلصَّوْتِ . ثُمَّ أَقْبَلَ ميرلِن عَلى السِّير كاي وأَخَذَ ٱلسَّيْفَ مِنْ يَدِهِ ، وَنَظَرَ إلى آرْثَر وَقالَ لَهُ آمِرًا :

«أُدْخُلِ ٱلمَعْبَدَ ، وَلا تَلْحَقَن بي .» قال ذٰلِكَ وَتوارى بَيْنَ شُجَيْراتِ باحَةِ ٱلمَعْبَدِ وَعُشْبِها ٱلعالي حامِلاً مَعَهُ ٱلسَّيْفَ .

وَما كادَ ٱلعَجوز يَتوارى حَتّى ٱنْفَتَحَتْ بَوّابَةُ ٱلمَعْبَدِ ٱلواسِعَةُ على مِصْراعَيْها وَٱنْدَفَعَ خارِجًا مِنْها حَشْدٌ كَبيرٌ مِنَ ٱلفُرْسانِ وَٱلنُّبَلاءِ وَهُمْ يَقولونَ : «أَيْنَ ميرلِن ؟ آنَ أَوانُ ٱلتَّفْسيرِ . أَيْنَ ميرلِن ؟»

قادَ السِّير كاي ٱلحَشْدَ إلى ٱلسّاحِرِ ٱلَّذي كانَ آنَذاكَ واقِفًا تَحْتَ شَجَرَةِ ٱلصَّنَوْبَرِ ٱلعَتيقَةِ بِمُحاذاةِ ٱلصَّخْرَةِ ٱلعَظيمَةِ . وَرَأى آرْثَر ٱلسَّيْفَ وَقَدْ أُعيدَ غَرْسُهُ في ٱلسِّنْدانِ . وَتَدافَعَ ٱلقَوْمُ وَشَقّوا طَريقَهُمْ وَٱلْتَفّوا حَوْلَ ميرلِن وَٱلصَّخْرَةِ . وَحينَ سَكَنَ ٱلهَرْجُ وَٱلمَرْجُ أَشارَ ميرلِن إلى عِبارَةٍ كانَتْ مَحْفورَةً حَوْلَ قاعِدَةِ ٱلصَّخْرَةِ ، وَقَرَأَها بِصَوْتٍ واضِحٍ مَسْموعٍ :

«إِنَّ مَنْ يَقْدِرُ على ٱنْتِزاعِ هٰذا ٱلسَّيْفِ سَيُوَلَّى مَلِكًا عَلى إنكلترة .»



عِنْدَها ارْتَفَعَتْ أَصْواتُ ٱلكلامِ ٱلمَحْمومِ ثانِيَةً ، في حِينِ انْدَفَعَ اللُّوردات وَٱلأُمَراءُ يُحاوِلونَ ٱنْتِزاعَ ٱلسَّيْفِ. وَكانَ ٱلضَّجيجُ يَنْقَطِعُ كُلَّما أَمْسَكَ ٱلرَّجُلُ مِنْهُمْ بِٱلسَّيْفِ مُحاوِلًا سَحْبَهُ ، وَما إِنْ يَفْشَلُ في ذَلِكَ حَتَّى يَعودَ ٱلقَوْمُ إِلى صَخَبِهِمْ. وَأَصَرَّ ميرلِن على أَنْ يُحاوِلَ ٱلفُرْسانُ ٱلحاضِرونَ جَميعًا ٱنْتِزاعَ ٱلسَّيْفِ. وَقَدْ فَعَلَ السِّير إِكْتور ذَلِكَ دونَ رِضًى مِنْهُ.

ٱلجَميعُ حاوَلوا وَفَشِلوا. وَعِنْدَها أَشارَ ميرلِن إِلى آرْثر الذي كانَ يَقِفُ في آخِرِ ٱلحَشْدِ وَقالَ بِصَوْتٍ عالٍ واضِحٍ : «هَلْ لَكَ في أَنْ تُجَرِّبَ أَنْتَ أَيْضًا ؟» وَراحَ ٱلقَوْمُ يُهَمْهِمونَ وَيَزْعَقونَ مُعْتَرِضينَ ، إِذْ لَمْ يَكُنْ آرْثر فارِسًا ، وَكانَ مُعْظَمُ ٱلنّاسِ يَجْهَلونَ مَنْ يَكونُ ذَلِكَ ٱلشّابُّ. أَمّا السِّير كاي فَقَدِ انْفَجَرَ ضاحِكًا.

كَرَّرَ ميرلِن طَلَبَهُ فَتَقَدَّمَ آرْثر نَحْوَ ٱلصَّخْرَةِ. خَيَّمَ ٱلصَّمْتُ عَلى



ٱلقَوْمِ ، وَأَمْسَكَ آرْثر بِٱلسَّيْفِ وَسَحَبَهُ بِيُسْرٍ فَٱنْسَحَبَ ، وَضَجَّتْ باحَةُ ٱلمَعْبَدِ بِأَصْواتِ ٱلدَّهْشَةِ وَٱلذُّهولِ.

مَرَّتْ دَقائِقُ قَبْلَ أَنْ يَتَمَكَّنَ ميرلِن من إِسْماعِ صَوْتِهِ وَهُوَ يَدْعو إِلى ٱلهُدوءِ أُولئِكَ ٱلَّذينَ كانوا يَصْرُخونَ غاضِبينَ غَيْرَ مُصَدِّقينَ أَنَّ ٱلشّابَ ٱلمَجْهولَ ٱلَّذي قَهَرَهُمْ يُمْكِنُ أَن يُنَصَّبَ مَلِكًا عَلَيْهِمْ.

صَرَخَ لُط مَلِكُ أوركني بِغَضَبٍ قائِلًا : «ما هذا ، يا ميرلِن ؟» وَصَرَخَ مارْك مَلِكُ كورنْوِل : «أَيَّةُ خِدْعَةٍ هذِهِ ؟» وَرَدَّدَ آخَرونَ صُراخَهُ.

وَأَجابَ ميرلِن : «لَيْسَ في ٱلأَمْرِ خِدْعَةٌ ، يا سادَةُ. وَلكِنْ قَبْلَ أَنْ أَكْشِفَ كُلَّ شَيْءٍ ، أُريدُكُمْ أَنْ تُعيدوا ٱلتَّجْرِبَةَ نَفْسَها في مُناسَباتٍ ثَلاثٍ أُخْرى ، لِيَمَّحِيَ ٱلشَّكُّ مِنْ نُفوسِكُمْ.»

وَاتَّفَقوا عَلى مَواعيدِ اللِّقاءِ الثَّلاثَةِ ، وَاخْتاروا مِنْ بَيْنِهِمْ أَرْبَعَةَ فُرْسانٍ ثِقاتٍ صادِقينَ لِيَقوموا عَلى حِراسَةِ الصَّخْرَةِ ، عَلى أَنْ يَنْقَسِموا فَريقَيْنِ يَتَناوَبانِ الحِراسَةَ . وَكانَتِ النَّوْبَةُ الأولى مِنْ نَصيبِ السِّير إِكْتور والسِّير بِدڤير .

وَجَرى الاخْتِبارُ الأَوَّلُ وَالثّاني في مَوْعِدَيْهِما فَلَمْ يَتَمَكَّنْ سِوى آرْثَر مِن انْتِزاعِ السَّيْفِ . وما إِنْ حَلَّ مَوْعِدُ الاخْتِبارِ الثّالِثِ وَالأَخيرِ حَتّى احْتَشَدَتْ جُموعٌ غَفيرَةٌ . وَلَمْ يَكُنْ يَرْغَبُ في تَكْرارِ المُحاوَلَةِ إِلّا المَلِكُ مارْك وَالمَلِكُ لُط وموردْرِد ، أَمّا سائِرُ القَوْمِ فَكانوا قَدِ اقْتَنَعوا بِأَنَّ شَرَفَ المُلْكِ لَيْسَ مِنْ نَصيبِهِمْ .

وَكانَ كُلٌّ مِنَ الطّامِعينَ الثَّلاثَةِ يَقْتَرِبُ ، إِذا جاءَ دَوْرُهُ ، فَيَحْبِسُ النّاسُ أَنْفاسَهُمْ تَرَقُّبًا ، وَيُحاوِلُ هُوَ بِأَقْصى قُوَّتِهِ ثُمَّ يَتْرُكُ المَكانَ لِسِواهُ ، إِمّا مُتَجَهِّمًا حَزينًا ، وَإِمّا غاضِبًا ناقِمًا ، وإِمّا صامِتًا مُسْتَسْلِمًا .

وَخَيَّمَ سُكونٌ مَهيبٌ عَلى القَوْمِ ، حَتّى كانَ بِالإِمْكانِ سَماعُ تَرْنيمِ طائِرٍ مُحَلِّقٍ في أَعالي الفَضاءِ . وَفي وَسَطِ ذٰلِكَ السُّكونِ تَقَدَّمَ آرْثَر وَأَمْسَكَ بِالسَّيْفِ وَسَحَبَهُ فَانْسَحَبَ مَعَهُ بِيُسْرٍ ، دون أَنْ يُحْدِثَ صَوْتًا غَيْرَ هَمْسَةِ النَّصْلِ المَسْلولِ .

رَفَعَ آرْثَر السَّيْفَ عالِيًا فَوْقَ رَأْسِهِ ، فَانْطَلَقَتْ حَناجِرُ الآلافِ مِنْ عامَّةِ الشَّعْبِ بِهُتافٍ جَبّارٍ حَطَّمَ السَّكينَةَ :

«آرْثَر مَلِكًا ! آرْثَر ! لِيَحْيَ المَلِكُ آرْثَر !»

أَدْرَكَ مُعْظَمُ النُّبَلاءِ أَنَّ الانْتِظارَ لا يُفيدُ . فَرَكَعوا أَمامَ المَلِكِ وَأَقْسَموا لَهُ يَمينَ الوَلاءِ . وَظَلَّ نَفَرٌ مِنْهُمْ غاضِبًا خائِبَ الأَمَلِ ، وَهٰؤُلاءِ دروا المَكانَ وَهُمْ يُتَمْتِمونَ كَلامًا غَيْرَ مَفْهومٍ . أَمّا مورْجان لو فاي وَابْنُها موردْرِد فَكانا قَدْ تَوارَيا عَنِ الأَنْظارِ .

وَمَشى ٱلملِكُ ٱلجَديدُ في مَوْكِبٍ مَهيبٍ إلى ٱلمَعْبَدِ ٱلكَبيرِ لِيُتَوَّجَ في ٱحْتِفالٍ عَظيمٍ. وَشَرَحَ ميرلِن بَعْدَ ٱلتَّتْويجِ سِرَّ ٱلشّابِّ ٱلمَجْهولِ ٱلَّذي صارَ مَلِكًا على إنكلترة. وَحَكى كَيْفَ أَنَّهُ، مُنْذُ أَمَدٍ بَعيدٍ، ٱكْتَشَفَ مُؤامَرَةً لِقَتْلِ بِكْرِ ٱلمَلِكِ أوثر وَٱلمَلِكَةِ إيجْرين، وَكَيْفَ أَنَّهُ حَمَلَ ٱبْنَ ٱلمَلِكِ ٱلرَّضيعَ إلى السَّير إكتور، صَديقِ ٱلمَلِكِ ٱلحَميمِ، فَرَبّى إكْتور ٱلوَلَدَ في بَيْتِهِ غَيْرَ عالِمٍ بِسِرِّهِ ٱلمَلَكيِّ.

وَٱنْتَقَلَ ٱلمَلِكُ إلى ٱلمَدينَةِ يَحُفُّ بِهِ نُبَلاؤُهُ وَفُرْسانُهُ، وَسَطَ مَظاهِرِ ٱلفَرَحِ ٱلعَظيمِ، وَٱنْكَبَّ يُعِدُّ ٱلخُطَطَ لِبِناءِ مَمْلَكَةٍ آمِنَةٍ.



ٱلمائِدَةُ ٱلمُسْتَديرَةُ

بَرَزَتْ أَمامَ ٱلمَلِكِ ٱلجَديدِ مَهامُّ كَثيرَةٌ. فَقَدْ كانَ قَراصِنَةُ السَّكْسون قَدِ ٱزْدادوا جَسارَةً وَتَكَرَّرَت غاراتُهُمْ عَلى ٱلبِلادِ في ٱلشُّهورِ الَّتي أَعْقَبَتْ مَوْتَ ٱلمَلِكِ أوثر وَسَبَقَتْ تَوَلِّيَ آرْثَر ٱلمُلْكَ. فَلَمْ تَعُدْ سُفُنُهُم الطَّويلَةُ تَكْتَفي بِٱلإغارَةِ عَلى ٱلسَّواحِلِ، بَلْ راحَتْ توغِلُ في أَعْماقِ الرّيفِ ٱلغَنيِّ مُسْتَخْدِمَةً مَجاري ٱلأَنْهارِ وَيَنْطَلِقُ مِنْها ٱلمُحارِبونَ ٱلشَّرِسونَ [illegible] بَلْ كانَ ٱلسَّكْسون قَدِ ٱطْمَأَنّوا فَبَدَؤوا يَسْتَقِرّونَ وَيَبْنونَ القُرى وَيُحَصِّنونَها.

وزادَ في ٱلأَمْرِ سوءًا أَنَّ نَفَرًا مِنَ ٱللّورْدات ٱلأَقْوِياءِ مِمَّنْ كانَ [illegible]ارَهُ ٱلمَلِكَ ٱلشّابَّ، والذين تَرَكوا البَلْدَةَ قَبْلَ حَفْلِ ٱلتَّتْويجِ، قَدِ اتَّحَدوا مَعًا مُحاوِلينَ ٱلاسْتيلاءَ عَلى ٱلعَرْشِ بِقُوَّةِ ٱلسِّلاحِ.

ولِذا قَرَّرَ ٱلمَلِكُ آرْثَر أَنْ يَنْقُلَ بَلاطَهُ غَرْبًا إلى بَلْدَةِ كامِلوت المُحَصَّنَةِ ٱلَّتي بَناها الرُّومانُ. وَكانَتِ المَسافَةُ بَيْنَ تِلْكَ ٱلبَلْدَةِ وَبَيْنَ مُسْتَوْطَناتِ ٱلسَّكْسون ٱلجَديدَةِ من جِهَةٍ، وبينَها وبَيْنَ مُمْتَلَكاتِ اللّورْداتِ ٱلعُصاةِ وقِلاعِهِم من جِهَةٍ أُخْرى، تُعادِلُ مَسيرَةَ يَوْمَيْنِ عَلى طُرُقاتِ ٱلرّومانِ ٱلمُسْتَقيمَةِ.

وما إنِ ٱنْتَقَلَ ٱلمَلِكُ إلى مَرْكَزِهِ ٱلجَديدِ حَتّى تَلَقّى أَنْباءً مُقْلِقَةً عَنْ تَحَرُّكِ كِلا ٱلخَصْمَيْنِ. فَقَدْ وَصَلَ إلى ٱلقَصْرِ خَيّالٌ مُجْهَدٌ عَفَّرَ حِصانَهُ غُبارُ ٱلسَّفَرِ، وَراحَ وَهُوَ يَلْهَثُ يَنْقُلُ خَبَرَ غارَتَيْنِ جَديدَتَيْنِ مِنْ غاراتِ ٱلسَّكْسون، فَدَبَّ ٱلاضْطِرابُ وٱلهِياجُ في باحَةِ ٱلقَصْرِ.



وَوَصَلَ خَيَّالٌ آخَرُ إلى مَقَرِّ ٱلمَلِكِ آرْثر يَحْمِلُ رِسالَةً مِنْ مَمْلَكَةِ كامِلْيارْد ٱلمُجاوِرَةِ. وَكانَ لِيُودِجْرانْس مَلِكُ كامِلْيارْد صَديقًا مِنْ أَصْدِقاءِ ٱلمَلِكِ أُوثِر وَحَليفًا لَهُ، كَما كانَ أَحَدَ أَوائِلِ ٱلَّذينَ بايَعوا آرْثر بِمُلْكِ بريطانية.

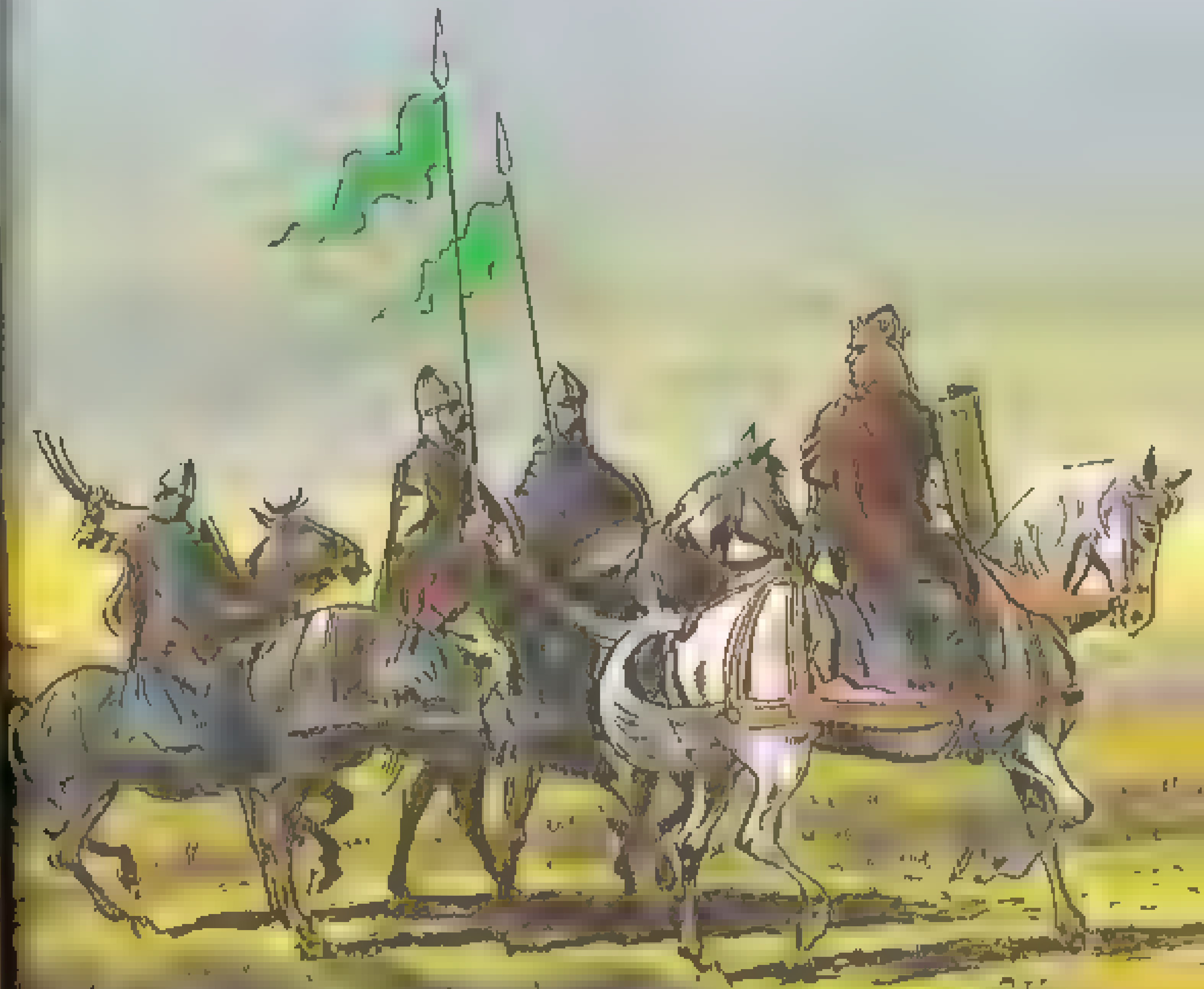
وَها هُوَ ٱليَوْمَ يَطْلُبُ ٱلعَوْنَ. فَقَدْ كانَ على ٱللُّورْدات ٱلعُصاةِ أَنْ يَجْتازوا مَمْلَكَتَهُ قَبْلَ أَنْ يَصِلوا إلى آرْثر، وَقَدْ بَدَأَتْ جُيوشُهُمْ تَتَجَمَّعُ فِعْلًا عَلى حُدودِها. كانَ جَيْشُ لِيُودِجْرانْس دونَ جُيوشِ العُصاةِ عَدَدًا وعَتادًا، ولكِنَّ ٱلمَلِكَ ٱلشُّجاعَ كانَ مُصَمِّمًا على ٱلتَّصَدّي لَهُم.



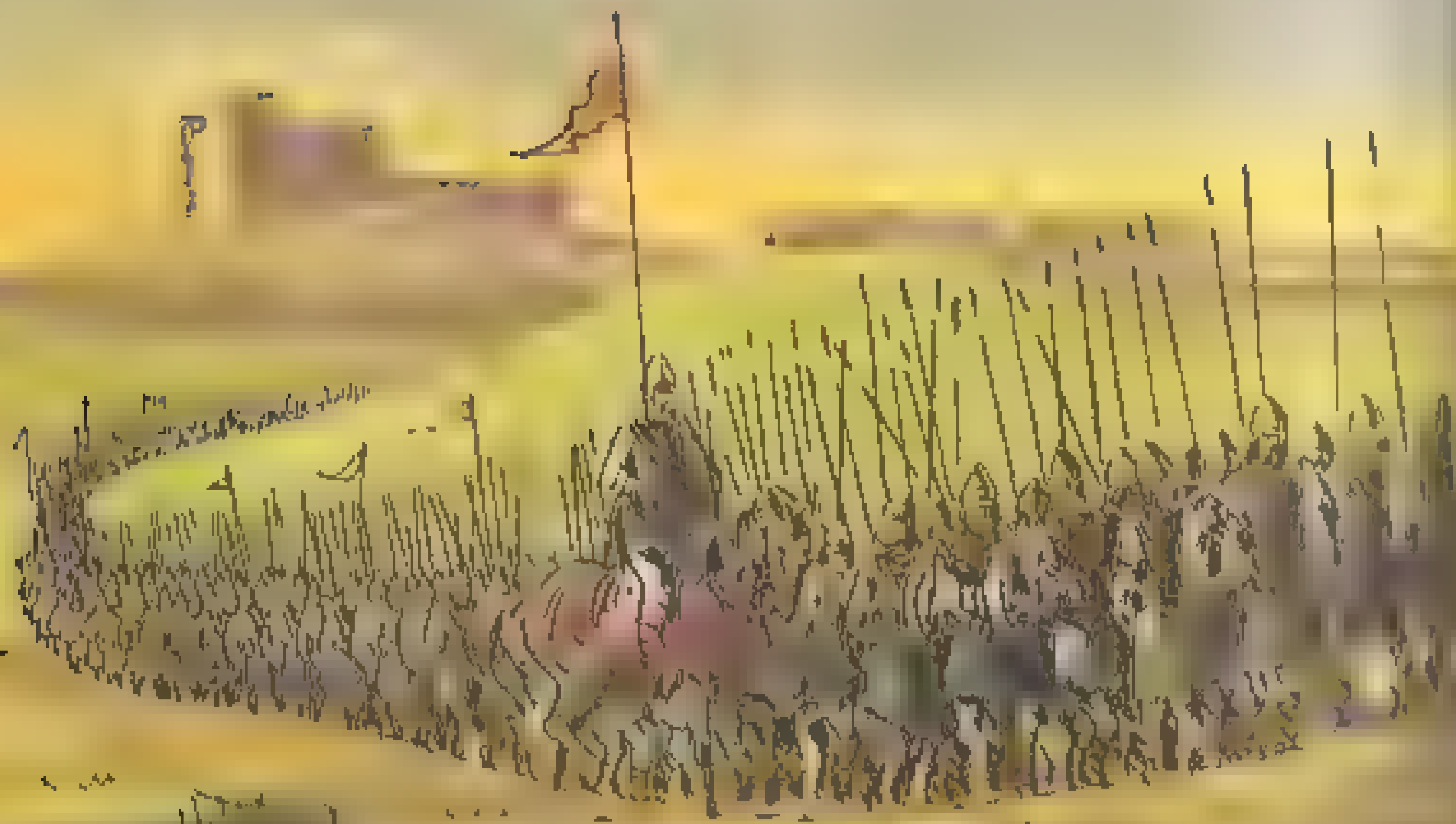
بادَرَ ٱلمَلِكُ آرْثر إلى دَعْوَةِ مَجْلِسِ حَرْبٍ يَضَعُ ٱلخُطَطَ لِمُواجَهَةِ ٱلخَطَرِ ٱلمُزْدَوِجِ. فَٱتَّفَقَ ٱلرَّأْيُ عَلى أَنْ يَقودَ السَّير بدڤير جَيْشًا يَتَّجِهُ بِهِ جَنوبًا لِمُهاجَمَةِ ٱلسَّكْسون، بَيْنَما يَقودُ ٱلمَلِكُ آرْثر بِنَفْسِهِ جَيْشًا آخَرَ يَخِفُّ لِنَجْدَةِ ٱلمَلِكِ لِيودِجْرانْس. وَكانَ على السَّير كاي أَنْ يَبْقى في كامِلوت لِتَوَلّي قِيادَةِ حامِيَتِها، يُسانِدُهُ في ذٰلِكَ ميرلِن ٱلعَجوزُ.

وَسادَ بَلْدَةَ كامِلوت طَوالَ ٱللَّيْلِ جَوٌّ مِنَ ٱلحَرَكَةِ وَٱلنَّشاطِ عَظيمٌ، وَرَدَّدَتْ شَوارِعُها صَدى أَصْواتِ ٱلحَرْبِ، إذِ ٱلجَيْشانِ يَسْتَعِدّانِ لِلتَّحَرُّكِ.

وَانْطَلَقَ السَّيرُ بِدِفِير بِجَيْشِهِ قَبْلَ الْفَجْرِ ، إِذْ كانَتِ الْمَسافَةُ الَّتي سَيَقْطَعُها طَويلَةً . وَعِنْدَ الصَّباحِ امْتَطى الْمَلِكُ آرْثر فَرَسَهُ الأَبْيَضَ وَسارَ في مُقَدِّمَةِ فُرْسانِهِ . كانَ في مَشْهَدِ أُولئِكَ الْفُرْسانِ ، وَالرَّاياتُ تُرَفْرِفُ مِنْ فَوْقِ رُؤوسِ الرِّماحِ ، فَخارٌ وَاعْتِزازٌ . وَما إِنِ ارْتَفَعَتْ أَصْواتُ الأَبْواقِ حَتّى تَجَمْهَرَ سُكّانُ كامِلوت في الشَّوارِعِ وَخَلْفَ الشَّبابيكِ يَهْتِفونَ وَيُلَوِّحونَ ، فَالْيَوْمَ يَتَزَعَّمُهُمْ مَلِكٌ يَفْتَخِرونَ بِهِ كَما افْتَخَروا ، مِنْ قَبْلُ ، بِسَلَفِهِ .



تابَعَ الْجَيْشُ سَيْرَهُ طَوالَ ذلِكَ النَّهارِ وَطَوالَ اللَّيْلِ دونَ هَوادَةٍ . وفي صَبيحَةِ الْيَوْمِ التّالي قابَلَهُمْ رَسولُ الْمَلِكِ لِيودِجْرانْس لِيُعْلِمَهُمْ أَنَّ جَيْشَ الْعُصاةِ قَدْ تَأَهَّبَ لِلْمَعْرَكَةِ في مَكانٍ لا يَبْعُدُ عَنْهُمْ أَكْثَرَ مِنْ مَسيرَةِ ساعَةٍ واحِدَةٍ . وَحَسَنًا فَعَلوا أَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَريحوا لَيْلًا ، فَقَدْ كانوا مَعَ إِسْراعِهِم يَخْشَوْنَ أَنْ يَصِلوا مُتَأَخِّرينَ . وَراحوا يَجِدّونَ في السَّيْرِ حَتّى وَصَلوا إِلى تَلَّةٍ وَمِنْ وَراءِ تِلْكَ التَّلَّةِ سَمِعوا قَعْقَعَةَ سِلاحٍ وَصَهيلَ خُيولٍ مُجْفِلَةٍ وَصَيْحاتِ مُحارِبينَ . وَحينَ ارْتَقَوْا التَّلَّةَ انْكَشَفَتْ أَمامَهُمْ ساحَةُ قِتالٍ وَقَدِ اشْتَبَكَ فيها جَيْشُ الْعُصاةِ مَعَ جَيْشِ حَليفِ الْمَلِكِ آرْثر . وَكانَ واضِحًا أَنَّ عَسْكَرَ الْمَلِكِ لِيودِجْرانْس ، ذَوي الْخُوَذِ الْبَيْضاءِ ، يَتَعَرَّضونَ لِضَغْطٍ شَديدٍ .

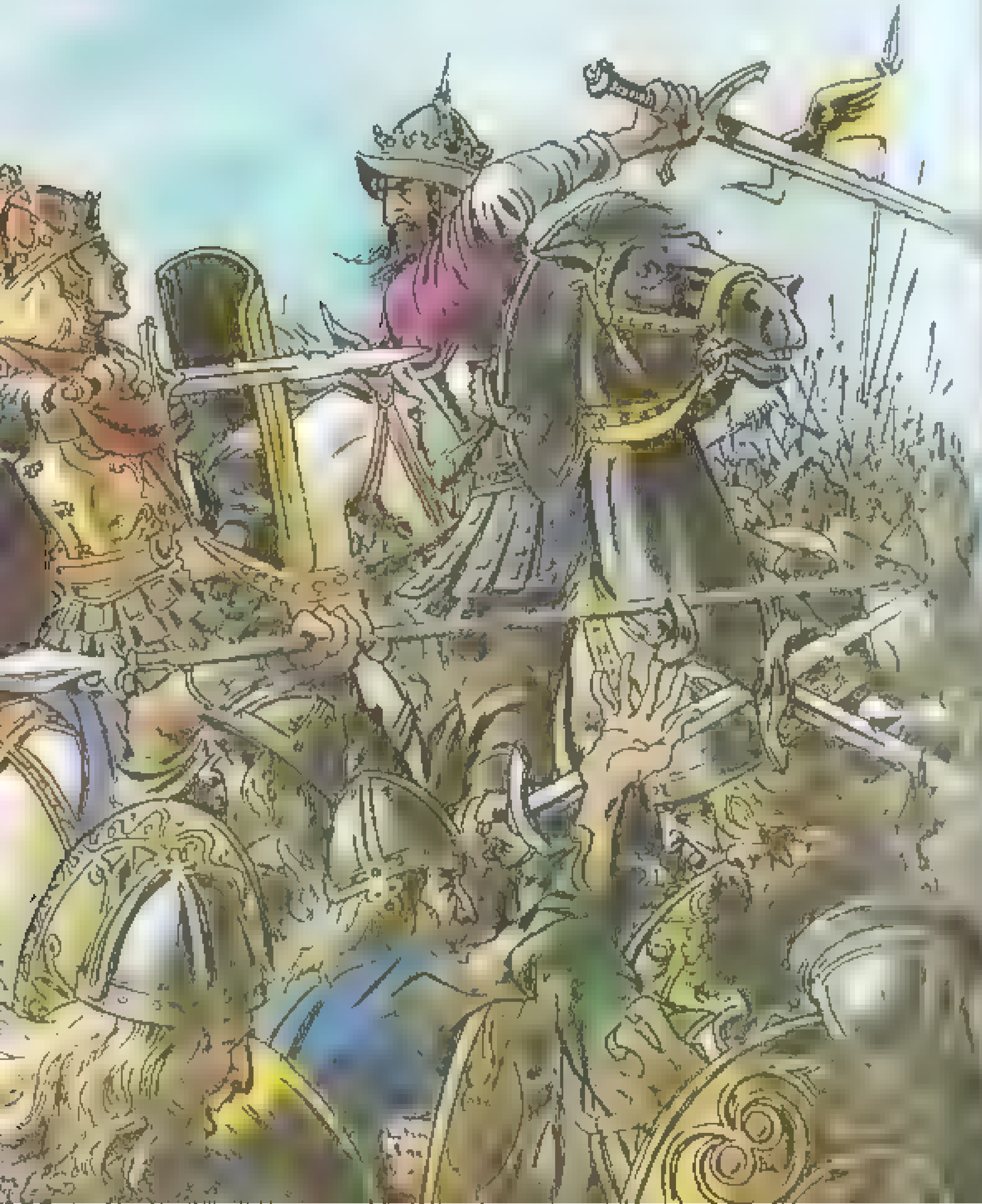


جَعَلَ ٱلْمَلِكُ آرْثر فُرْسانَهُ صَفًّا طَويلًا بِمُحاذاةِ قِمَّةِ ٱلتَّلَّةِ ، وَٱتَّخَذَ مَكانَهُ في مُقَدِّمَتِهِمْ ثُمَّ أَمَرَ عازِفَ ٱلبوقِ أَنْ يُطْلِقَ نَفيرَ ٱلْهُجومِ . وَٱنْحَدَرَ آرْثر وَجَيْشُهُ لَحْظَةَ إِطْلاقِ ٱلنَّفيرِ في هُجومٍ مُدَوٍّ وَٱنْقَضُّوا عَلى صُفوفِ ٱلأَعْداءِ . ثُمَّ اسْتَداروا وَكَرَّروا ٱلانْقِضاضَ .

وَحينَ ٱشْتَدَّ ٱلتَّلاحُمُ تَرَكَ ٱلْمُحارِبونَ ٱلرِّماحَ وَقاتَلوا بِالسُّيوفِ . أَمّا ٱلْمَلِكُ آرْثر فَكانَ يُرى دائِمًا يُقاتِلُ في أَشَدِّ ٱلأَماكِنِ ضَراوَةً . وَقَدْ سَقَطَ في ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ ٱلعَديدُ مِنَ ٱلْفُرْسانِ ٱلبواسِلِ ، مِنْ بَيْنِهِمِ السِّير تيرْكِن صَديقُ ٱلْمَلِكِ أُوثر مُنْذُ ٱلطُّفولَةِ . سَقَطَ قَريبًا مِنْ آرْثر وَهُوَ يُحارِبُ مَعَ ٱلابْنِ مِثْلَما كانَ يُحارِبُ مَعَ ٱلأَبِ .



وَأُقيمَتْ في ذٰلِكَ ٱلْمَساءِ في بَلاطِ ٱلْمَلِكِ لِيودِجْرانْس وَليمَةٌ عَظيمَةٌ احْتِفالًا بِذٰلِكَ ٱلنَّصْرِ. وَاكْتَمَلَتْ فَرْحَةُ ٱلْقَوْمِ حينَ وَرَدَ مِنْ جَبْهَةِ ٱلْقِتالِ ٱلْأُخْرى ما يُفيدُ بِأَنَّ السِّير بِدِفِير قَدْ هَزَمَ ٱلسَّكْسون هَزيمَةً نَكْراءَ وَأَحْرَقَ مُدُنَهُمْ وَأَجْبَرَ ٱلنَّاجينَ مِنْهُمْ عَلى ٱلْفِرارِ بَحْرًا.



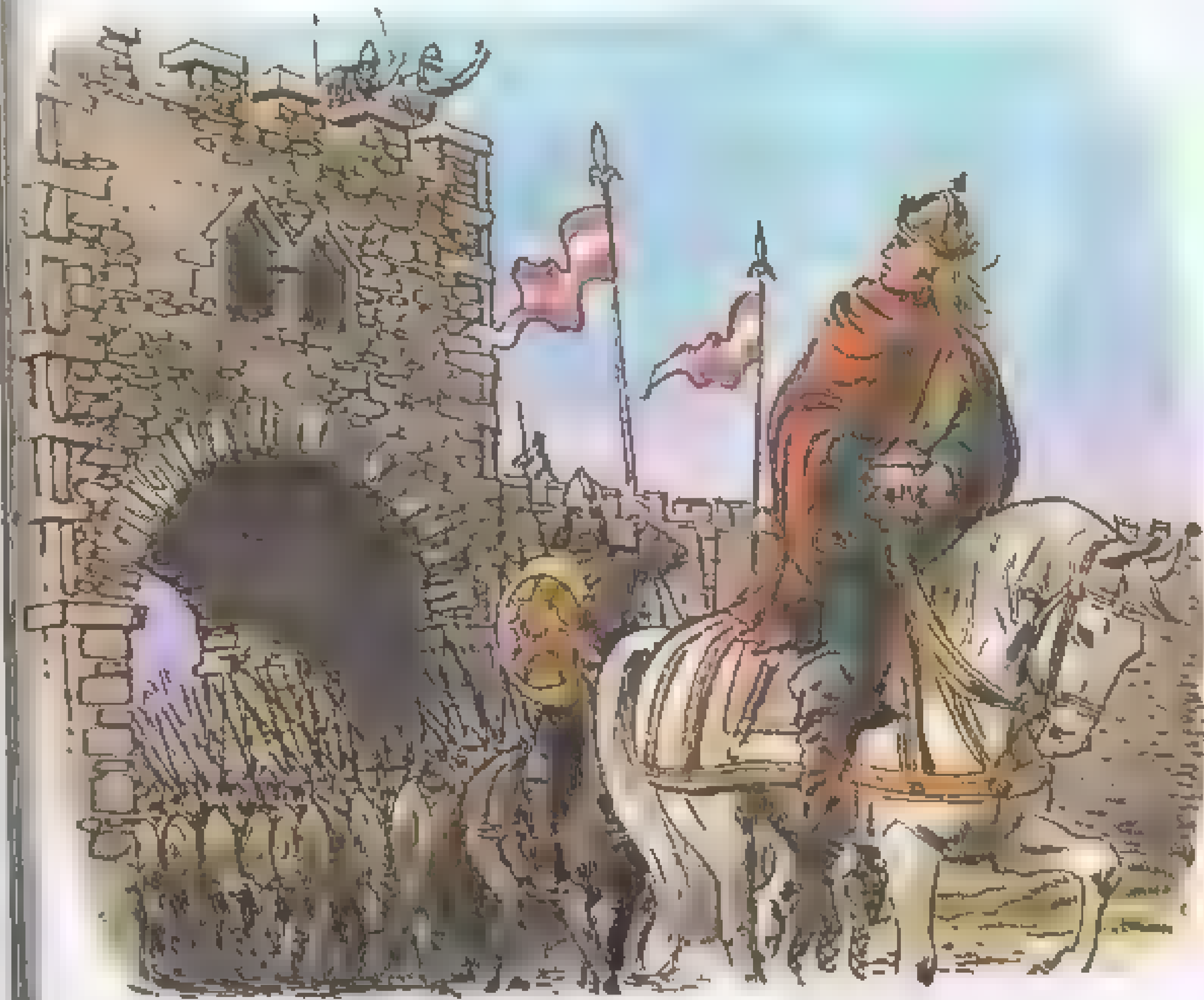
وَٱحْتَدَمَتِ ٱلْمَعْرَكَةُ طَوالَ ٱلنَّهارِ، وَحينَ حَلَّ ٱلْمَغيبُ كانَتِ ٱلْقُوَّتانِ ما تَزالانِ مُتَكافِئَتَيْنِ. وَفَجْأَةً وَجَدَ ٱلْمَلِكُ آرْثَر نَفْسَهُ يُواجِهُ رَجُلًا عِملاقًا، يَرْتَدي بِزَّةَ زَرَدٍ سَوْداءَ وَيَمْتَطي جَوادًا أَدْهَمَ وَعَلى دِرْعِهِ صُورَةُ غُرابٍ قِرْمِزِيٍّ. وَلَمْ يَكُنْ ذٰلِكَ ٱلرَّجُلُ سِوى ٱلْمَلِكِ بِلِينور نَفْسِهِ، زَعيمِ ٱلْعُصاةِ، ٱلَّذي عاهَدَ نَفْسَهُ عَلى عَداوَةِ آرْثَر مُنْذُ أَنْ سَحَبَ آرْثَر ٱلسَّيْفَ مِنَ ٱلصَّخْرَةِ أَوَّلَ مَرَّةٍ.

وَحينَ لَمَحَ زَعيمُ ٱلْعُصاةِ ٱلْمَلِكَ ٱلشَّابَّ عَرَفَهُ عَلى ٱلْفَوْرِ فَهاجَمَهُ بِشَراسَةٍ وَهُوَ يَزْعَقُ بِصَوْتٍ رَهيبٍ وَيُلَوِّحُ بِسَيْفِهِ ٱلْجَبّارِ وَتَفَرَّقَتْ جُموعُ ٱلْمُتَحارِبينَ مُفْسِحَةً في ٱلْمَجالِ لِهٰذَيْنِ ٱلْمُتَبارِزَيْنِ وَقانِعَةً بِأَنْ تُسَوّى ٱلْمَسْأَلَةُ بَيْنَهُما بِالاحْتِكامِ إِلى ٱلْمُبارَزَةِ وَلَقَدْ بَدا أَنَّ تِلْكَ ٱلْمُبارَزَةَ غَيْرُ مُتَكافِئَةٍ إِذ ظَهَرَ ٱلْمَلِكُ ٱلشّابُّ ضَئيلًا أَمامَ مُنافِسِهِ ٱلضَّخْمِ. إِلّا أَنَّ آرْثَر كانَ خَفيفَ الحَرَكَةِ سَريعًا، أَمّا بِلِينور فَبَطيءٌ. وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ فَجْأَةً حينَ لَمَحَ آرْثَر ثُغْرَةً فَانْقَضَّ عَلى خَصْمِهِ، مُواجِهًا ضَرَباتِهِ ٱلْهائِلَةَ، وَطَعَنَهُ طَعْنَةً قاتِلَةً.

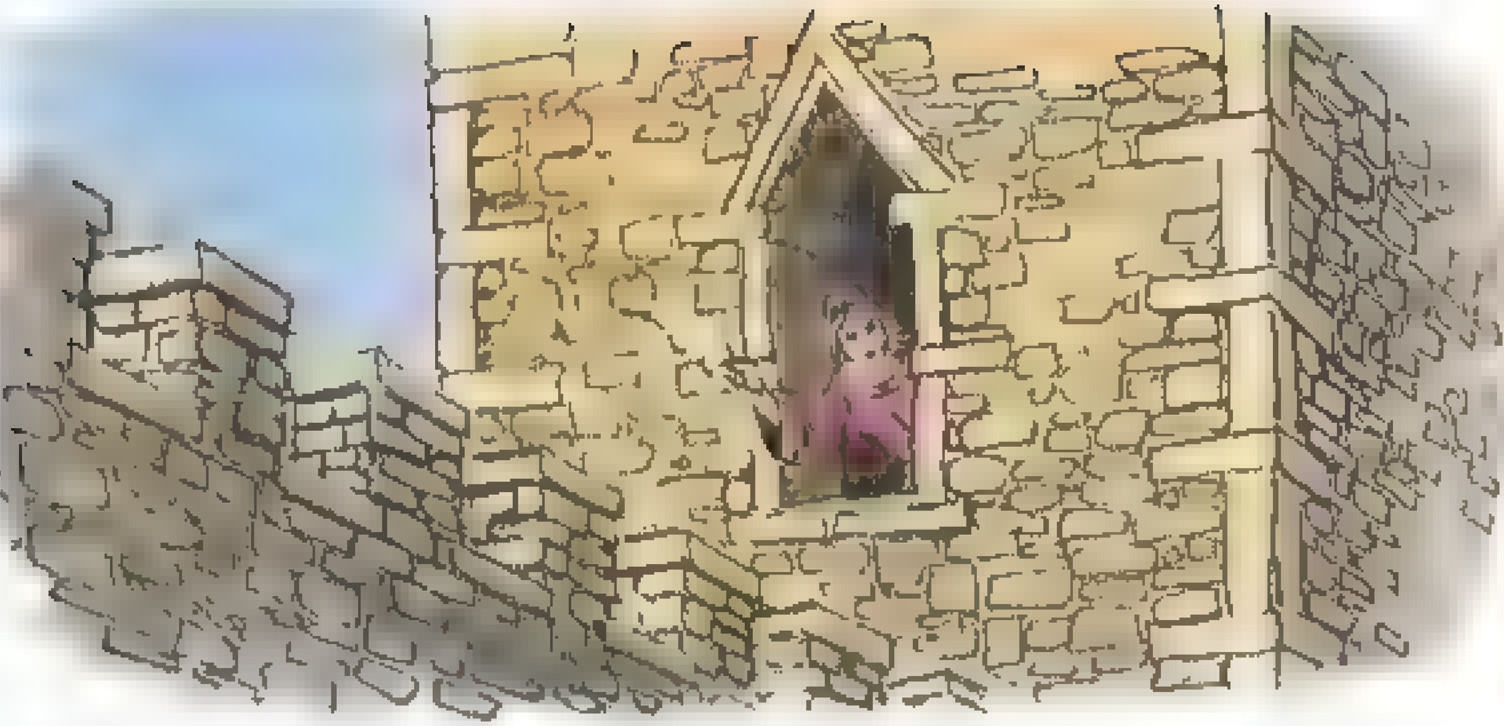
وَاسْتَسْلَمَ رِجالُ ٱلْمَلِكِ بِلِينور حينَ ماتَ قائِدُهُمْ. أَمّا قادَةُ ٱلْعُصاةِ فَقَدِ اقْتيدوا إِلى ٱلْمَلِكِ آرْثَر، وَإِلَيْهِ سَلَّموا أَسْلِحَتَهُمْ. وَكانَ ٱلْمَلِكُ رَؤوفًا بِهِمْ فَعَفا عَنْهُمْ، وَعِرْفانًا مِنْهُمْ بِالْجَميلِ أَقْسَموا عَلى أَنْ يَكونوا مِنْ أَتْباعِهِ.

وَوافَقَ ٱلمَلِكُ لِيودِجْرانْس في تِلْكَ ٱلمَأْدُبَةِ ٱلعَظيمَةِ ٱبْنَتَهُ ٱلأَميرَةَ جِنيفَر ؛ ٱلَّتي كانَتْ في ظَنِّ ٱلمَلِكِ آرْثر أَجْمَلَ ٱمْرَأَةٍ وَقَعَتْ عَلَيها عَيْناه . وَرَمَقَتْ جِنيفَر بِدَورِها ، ٱلمَلِكَ ٱلشّابَّ بِنَظَراتِ ٱلإِعْجابِ لِأَنَّ بُطولاتِهِ أَنْقَذَتْ مَمْلَكَةَ والِدِها مِثْلَما أَنْقَذَتْ مَمْلَكَتَهُ هُوَ .

وَبَيْنَما كانَ آرْثر يُغادِرُ كامِلوت في صَبيحَةِ ٱليَوْمِ ٱلتّالي ، وَمِنْ



وَرائِهِ جَيْشُهُ ، لَمَحَ يَدًا تُلَوِّحُ لَهُ مِنْ نافِذَةٍ في ٱلقَلْعَةِ عالِيَةٍ . وَكانَتْ صاحِبَةُ ٱليَدِ هِيَ ٱلأَميرَةُ نَفْسُها تُطِلُّ عَلَيْهِ بِوَجْهِها ٱلجَميلِ . وَلَمْ يُفَكِّرِ ٱلمَلِكُ ، طَوالَ ٱلطَّريقِ ، إِلّا في جِنيفَر ٱلَّتي مَلَكَتْ قَلْبَهُ . وَما إِنْ وَصَلَ



إِلى مَقَرِّ حُكْمِهِ حَتّى أَرْسَلَ ميرلِن إِلى كامِلْيارْد لِيَطْلُبَ لَهُ مِنَ ٱلمَلِكِ لِيودِجْرانْس يَدَ ٱبْنَتِهِ . وَقَدْ حَذَّرَ ميرلِن ٱلعَجوزُ آرْثر ، دونَ إِبْداءِ ٱلأَسْبابِ ، مِنْ ذٰلِكَ ٱلزَّواجِ ، وَلٰكِنَّ آرْثر هٰذِهِ ٱلمَرَّةَ ، لَمْ يَأْخُذْ بِنَصيحَةِ مُسْتَشارِهِ .

عَلى أَيَّةِ حالٍ كانَ سُرورُ ٱلمَلِكِ لِيودِجْرانْس عَظيمًا بِهٰذا ٱلطَّلَبِ وَسُرْعانَ ما وَصَلَتِ ٱلأَميرَةُ جِنيفَر وَمُرافِقوها إِلى كامِلوت وَسَطَ فَرْحَةٍ شَعْبِيَّةٍ عارِمَةٍ . وَكانَتِ ٱلاسْتِعْداداتُ قَدِ ٱكْتَمَلَتْ فَلَمْ يَمْضِ يَوْمانِ إِلّا وَكانَ ٱلمَلِكُ آرْثر قَدْ تَزَوَّجَ ٱلأَميرَةَ في ٱحْتِفالٍ عَظيمٍ .

وَكانَ مِنْ بَيْنِ ما قَدَّمَهُ ٱلمَلِكُ لِيودِجْرانْس هَدايا ذَهَبِيَّةٌ وَبِزَّةُ زَرَدٍ فِضِّيَّةٌ ، بِالإِضافَةِ إِلى مائِدَةٍ مُسْتَديرَةٍ واسِعَةٍ مَصْنوعَةٍ مِن خَشَبِ ٱلسِّنْديانِ ، يُمْكِنُ أَنْ يَجْلِسَ حَوْلَها مِائَتانِ وَخَمْسونَ فارِسًا . كَذٰلِكَ بَعَثَ بِخَمْسينَ مِنْ فُرْسانِهِ لِيَكونوا أَتْباعًا لِلْمَلِكِ .

وَقَفَ ٱلْمَلِكُ يَتَأَمَّلُ ٱلْمائِدَةَ ٱلْمُسْتَديرَةَ ٱلضَّخْمَةَ ، وَتَكَشَّفَتْ لَهُ ٱلْحِكْمَةُ في هٰذِهِ ٱلْهَدِيَّةِ وَطَريقَةِ ٱسْتِخْدامِها ٱلصَّحيحَةِ . فَإِنَّهُ لَمّا كانَتِ ٱلْمائِدَةُ مُسْتَديرَةً فَلَيْسَ فيها مَكانٌ أَفْضَلُ مِنْ مَكانٍ ، وَلَنْ يَظُنَّ أَحَدٌ أَنَّهُ أَقْرَبُ ، في جُلوسِهِ في هٰذا ٱلْمَكانِ أَوْ ذاكَ ، إِلى قَلْبِ ٱلْمَلِكِ مِنْ سِواهُ . عِنْدَ ذاكَ ٱسْتَدْعى ٱلْمَلِكُ فُرْسانَهُ وَأَراهُمُ ٱلْمائِدَةَ ، وَخاطَبَهُمْ قائِلًا :

«على مَنْ كانَ تابِعًا لي أَنْ يُقْسِمَ ٱلْيَوْمَ يَمينَ ٱلرِّفْقَةِ ، رِفْقَةِ ٱلْمائِدَةِ ٱلْمُسْتَديرَةِ !» فَضَجَّتْ خَناجِرُ ٱلْفُرْسانِ بِٱلْمُوافَقَةِ . وَتابَعَ آرْثَر خِطابَهُ :

«مَنْ كانَ سَيُؤَدّي ٱلْقَسَمَ مِنْكُمْ فَلْيَتَقَدَّمْ ، وَلْيَحْلِفْ يَمينًا صادِقَةً أَنَّهُ سَيُكَرِّسُ حَياتَهُ لِلْفُروسِيَّةِ ، وَلِخِدْمَةِ ٱللهِ وَحِمايَةِ ٱلضُّعَفاءِ وَٱلْمُحْتاجينَ !»

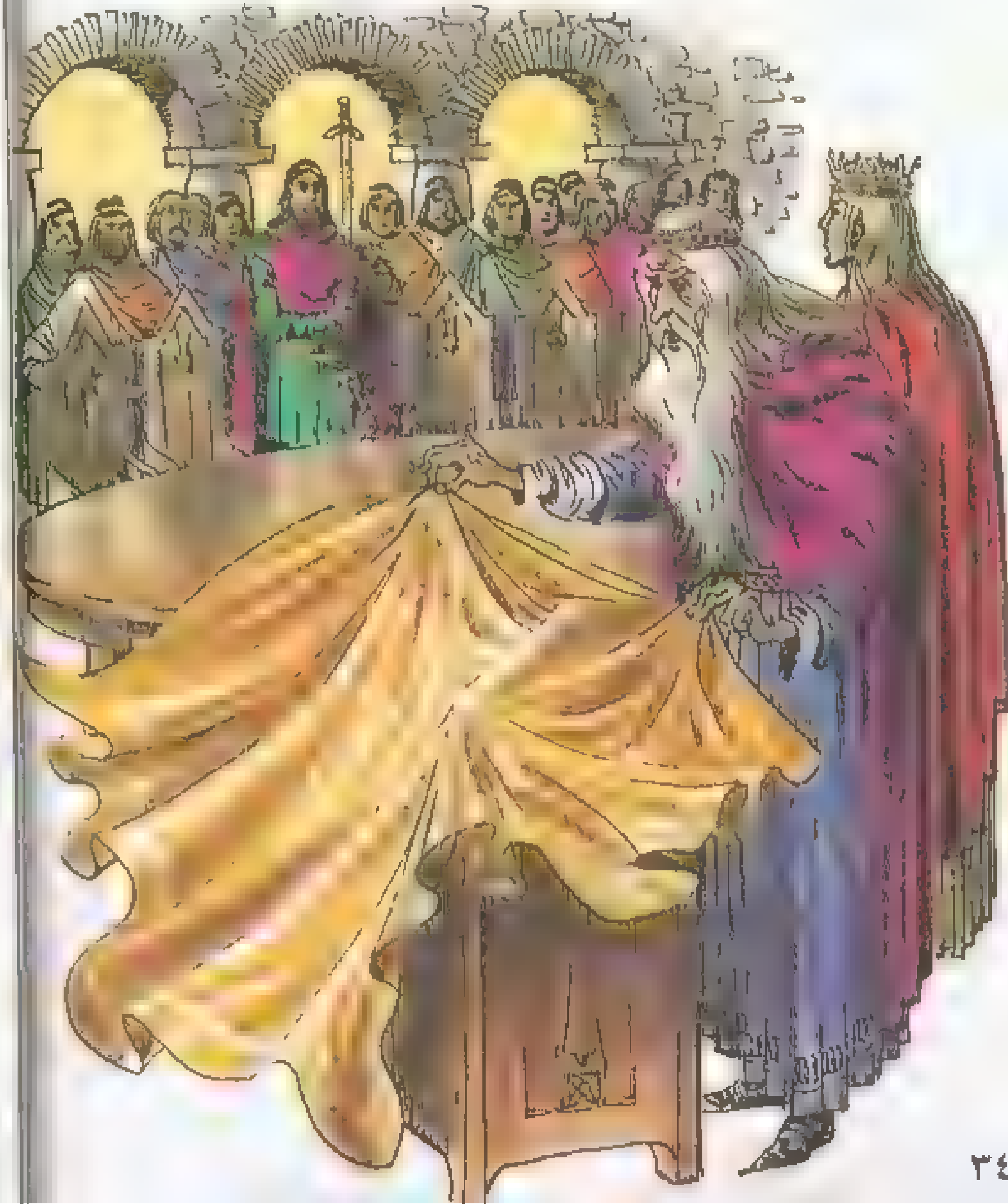


وَضَجَّتِ ٱلْخَناجِرُ بِٱلْمُوافَقَةِ ثانِيَةً ، بَيْنَما تَقَدَّمَ ٱلْفُرْسانُ واحِدًا بَعْدَ ٱلْآخَرِ . وَفي ٱللَّحْظَةِ ٱلَّتي رَفَعَ ٱلسَّيِّر إِكْتُور سَيْفَهُ لِأَداءِ ٱلْقَسَمِ ، وَكانَ أَوَّلَ مَنْ يَفْعَلُ ذٰلِكَ ، أَرْعَدَتِ ٱلسَّماءُ فَجْأَةً وَسادَ ٱلْقاعَةَ ظَلامٌ دامِسٌ . وَحينَ عادَ ٱلنُّورُ أَصابَ ٱلْجَميعَ ٱلذُّهولُ إِذْ رَأَوْا أَنَّ ٱسْمًا قَدْ نُقِشَ بِماءِ ٱلذَّهَبِ عَلى كُلِّ مَقْعَدٍ مِنْ مَقاعِدِ ٱلْمائِدَةِ ، ما عَدا واحِدًا . وَفَوْقَ ٱلْمَقْعَدِ ٱلَّذي لَمْ يُسَمَّ صاحِبُهُ نُقِشَتِ ٱلْعِبارَةُ ٱلتّالِيَةُ : «لَنْ يَجْلِسَ في هٰذا ٱلْمَقْعَدِ إِلّا مَنْ يَكونُ أَعْظَمَ فُرْسانِ ٱلْأَرْضِ .»

وَٱلْتَفَتَ ٱلْقَوْمُ جَميعًا ، بِمَنْ فيهِمِ ٱلْمَلِكُ نَفْسُهُ ، إِلى ميرلِن لِأَنَّهُ ٱلْوَحيدُ ٱلَّذي كانَ ، في وَسَطِ ذٰلِكَ ٱلْجَوِّ ٱلْمُثيرِ ، مُحافِظًا عَلى هُدوئِهِ .



عِنْدَها أَشارَ ميرلِن إلى ٱلْمَقْعَدِ ٱلْغامِضِ وَخاطَبَ ٱلْقَوْمَ بِوَقارٍ قائِلًا : «سَيِّدي ٱلْمَلِكَ ، أَيُّها ٱلْفُرْسانُ ٱلنُّبَلاءُ : أَمامَكُمْ ما أُسَمِّيهِ بِمَقْعَدِ ٱلأَخْطارِ .» وَصَمَتَ ٱلْعَجوزُ لَحْظَةً ثُمَّ تابَعَ حَديثَهُ ، فَقالَ : «ٱلْفارِسُ ٱلَّذي سَيَشْغَلُ هذا ٱلْمَقْعَدَ لَيْسَ واحِدًا مِنْكُمْ ، وَلا يَعْرِفُ



أَحَدٌ مَنْ يَكونُ ، حَتّى أَنا لا أَعْرِفُ مَنْ يَكونُ .» قالَ ٱلسّاحِرُ ٱلْعَجوزُ ذٰلِكَ وَأَخْرَجَ مِنْ بَيْنِ ثَنايا عَباءَتِهِ نَسيجًا ذَهَبِيًّا فَرَشَهُ بِرِفْقٍ فَوْقَ «مَقْعَدِ ٱلأَخْطارِ» .

ثُمَّ أَخَذَ ٱلْفُرْسانُ يَتَقَدَّمونَ ، واحِدًا تِلْوَ واحِدٍ ، يَرْفَعُ ٱلرَّجُلُ مِنْهُمْ سَيْفَهُ وَيُؤَدّي يَمينَ ٱلرِّفْقَةِ ، ثُمَّ يَتَوَجَّهُ إلى ٱلْمَقْعَدِ ٱلَّذي يَحْمِلُ ٱسْمَهُ مَنْقوشًا بِماءِ ٱلذَّهَبِ . وَهٰكَذا ٱحْتَلَّ ٱلْعَديدُ مِنَ ٱلْفُرْسانِ ٱلْعِظامِ مِمَّنْ حارَبَ مَعَ ٱلْمَلِكِ آرْثر وَمَعَ أَبيهِ مِنْ قَبْلُ أَماكِنَهُمْ ، وَمَعَ ذٰلِكَ ظَلَّتْ مَقاعِدُ كَثيرَةٌ خالِيَةً .

وَبَعْدَ أَنِ ٱتَّخَذَ ٱلْحُضورُ مَقاعِدَهُمْ ، وَقَفَ ٱلْمَلِكُ آرْثر ، وَكانَ أَصْغَرَ مَنْ فِي ٱلْقاعَةِ سِنًّا ، وِقْفَةَ ٱلنَّبالَةِ وَٱلْجَلالِ وَقالَ بِصَوْتٍ واضِحٍ :

«أَيُّها ٱلسّادَةُ ، سَنَلْتَقي هُنا في مُناسَباتٍ ثَلاثٍ تَكونُ هِيَ نَفْسُها ٱلأَيّامَ ٱلَّتي سَحَبْتُ فيها ٱلسَّيْفَ مِنَ ٱلصَّخْرَةِ مُثْبِتًا حَقّي في ٱلْعَرْشِ . وَسَنَسْمَعُ مِنْكُمْ في هٰذِهِ ٱللِّقاءاتِ قِصَصَ مُغامَراتِكُمُ ٱلْمَخوفَةِ ، وَلَعَلَّكُمْ تَسْمَعونَ شَيْئًا مِنْ قِصَصِ مُغامَراتِنا . وَنَأْمُلُ ، كَذٰلِكَ ، أَنْ يَكونَ أَصْحابُ هٰذِهِ ٱلْمَقاعِدِ ٱلْخالِيَةِ مِمَّنْ لَمْ نَتَعَرَّفْ عَلَيْهِمْ بَعْدُ ، قَدْ أَخَذوا أَماكِنَهُمْ بَيْنَنا وَأَثْبَتوا جَدارَتَهُمْ بِصُحْبَتِنا .»

عَلى هٰذِهِ ٱلصّورَةِ شَكَّلَ ٱلْمَلِكُ آرْثر رِفْقَةَ فُرْسانِ ٱلْمائِدَةِ ٱلْمُسْتَديرَةِ ، وَقَدْ قُدِّرَ لِهٰذِهِ ٱلرِّفْقَةِ أَنْ تَشْتَهِرَ شُهْرَةً عَمَّتْ أَنْحاءَ ٱلْمَمْلَكَةِ وَٱنْتَشَرَتْ خارِجَها .



البتّار

قالَ السّير كاي مُخاطبًا السّير أُوون: «قرارُ المَلكِ آرثر إقامةَ مُبارزةٍ احتفالًا بزواجهِ قرارٌ صائبٌ، وإنَّ على ذلكَ بالنِّسبةِ لي عملًا مُتعبًا باعتباري مسؤولًا عنْ تنظيمِ الاحتفالِ.»

وأجابَ السّير أُوون: «نحتفلُ بالزّواجِ وبغيرِهِ. فلقدِ ارتحنا منَ السّكسون، لحينٍ على الأقلِّ، وارتحنا منْ بلينور زعيمِ العُصاةِ إلى الأبدِ.»

وقالَ السّير كاي: «حقًّا، إنّهما أمرانِ يستحقّانِ الاحتفالَ.»

كانَ الفارسانِ قدْ وصلا إلى حافةِ السُّهولِ الفسيحةِ المُمتدَّةِ بيْنَ أسْوارِ كاميلوت وضفّةِ النّهرِ. ورأَوا العمّالَ قدِ انتشروا في كُلِّ مكانٍ منْ حوْلِهِمْ ينْصِبونَ الخيامَ ويُخطّطونَ للأسيجةِ والحواجزِ. نظرَ السّير كاي إلى النّشاطِ العظيمِ منْ حوْلِهِما وقالَ لصديقِهِ: «تعالَ، فأمامَنا عملٌ كثيرٌ.» ثُمَّ انطلقا بجواديْهِما في اتّجاهِ الميْدانِ الرّئيسيِّ حيْثُ تجْري المُبارزاتُ.

وسألَ السّير كاي: «أتشْتركُ غدًا في المُبارزةِ لتكونَ فارسَ المَلكةِ؟»

فأجابَ السّير أُوون: «لا شكَّ أنّي فاعِلٌ. وأفعلُ ذلكَ لِما في المُبارزةِ منْ شرفٍ، لا أملًا في الفوْزِ. فلسوْفَ يشْتركُ في النِّزالِ العديدونَ ممَّنْ هُمْ أقوى منّي.»

فَرَدَّ السَّيِر كاي وَهُوَ يَرْبُتُ كَتِفَ صاحِبِهِ : «وَلٰكِنَّهُمْ يَفْتَقِدونَ مَهارَتَكَ وَخِبْرَتَكَ . إِنَّما لَنْ تَجْرِيَ ٱلْمُبارَزَةُ غَدًا ما لَمْ يُبادِرْ سَيِّدي مُديرُ ٱلتَّنْظيمِ إِلى ٱلعَمَلِ عَلى تَنْظيمِها .» ثُمَّ ٱنْطَلَقَ ٱلفارِسانِ مَعًا لِيُشْرِفا عَلى إِقامَةِ ٱلْمَقْصورَةِ ٱلْمَلَكِيَّةِ .

وَكانَ ٱلْيَوْمُ ٱلتَّالي مُشْرِقًا صافِيًا . أَمّا مَيْدانُ ٱلْمُبارَزَةِ فَقَدْ بَدا بَهيجًا بِٱلأَعْلامِ ، وَسُرْعانَ ما غَصَّ بِٱلنَّاسِ ٱلَّذينَ ٱنْدَفَعوا إِلى كامِلوت مِنْ قَريبٍ وَمِنْ بَعيدٍ . وَأُقيمَتْ مُبارَياتُ رَمْيِ ٱلسِّهامِ وَٱلْمُصارَعَةِ في وَقْتٍ مُبَكِّرٍ ، لِيَتَفَرَّغَ ٱلْقَوْمُ جَميعًا لِمُشاهَدَةِ ٱلْمُبارَزَةِ .





وَأَعْلَنَ نَفيرُ ٱلأَبْواقِ أَنَّ ٱلْمَلِكَ نَفْسَهُ سَيَفْتَتِحُ ٱلْمُبارَزَةَ . وَكانَ ٱلْمَلِكُ آرْثَر في بِزَّةِ ٱلزَّرَدِ ٱلفِضِّيَّةِ ٱلْحَديدَةِ فَوْقَ فَرَسِهِ ٱلأَبْيَضِ في إِحْدى ناحِيَتَيِ ٱلْمَيْدانِ .

بَدَأَتِ ٱلْمُبارَزاتُ وَراحَ آرْثَر يَرْمي ٱلْفُرْسانَ عَنْ جِيادِهِمْ واحِدًا تِلْوَ ٱلآخَرِ ، فَيَهْتِفُ ٱلنَّاسُ مُهَلِّلينَ وَيَقولونَ ، بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : «إِنَّهُ في هَيْبَتِهِ وَفي أُسْلوبِ قِتالِهِ مَلِكٌ وَٱبْنُ مَلِكٍ .»

وَأَمّا السَّيِر كاي فَقَدْ بَدا مَهْمومًا بَعْدَ أَنْ سَقَطَ هُوَ ٱلآخَرُ عَنْ ظَهْرِ جَوادِهِ ، فَقالَ لِلسَّيِر بِدِڤير وَهُوَ يَفْرُكُ كَتِفَهُ ٱلْمَرْضوضَةَ : «لا شَكَّ أَنَّ ٱلْمَلِكَ نَفْسَهُ سَيَكونُ فارِسَ ٱلْمَلِكَةِ .»

فَأَجابَ السَّيِر بِدِڤير : «هٰذا صَحيحٌ .» وَراحَ يُراقِبُ ٱلْمَلِكَ يَصولُ في ٱلْمَيْدانِ وَيَجولُ مُتَحَدِّيًا ٱلْفُرْسانَ جَميعَهُمْ .

وَإِذْ بَدا لِلنَّاسِ أَنَّ أَحَدًا مِنَ ٱلْفُرْسانِ لَنْ يُنازِلَ ٱلْمَلِكَ ، ٱنْتَشَرَتْ في ٱلطَّرَفِ ٱلأَقْصى مِنَ ٱلْمَيْدانِ هَمْهَمَةُ ٱنْدِهاشٍ مُتَعاظِمَةٌ .

وَتَساءَلَ السَّيِر بِدِڤير : «مَنِ ٱلْقادِمُ ؟»

أجابَ السّيرُ كاي : «لا أعْرِفُهُ . بِزَّتُهُ ٱلزَّرَدِيَّةُ عادِيَّةٌ ، وَلَيْسَ على خُوذَتِهِ أَوْ دِرْعِهِ شِعارٌ يُمَيِّزُهُ .»

وَقالَ السّيرُ أُوِونُ : «وَلا يُمَيِّزُ رُمْحَهُ رايَةٌ . فَمَنْ تُراهُ يَكونُ ؟»

وَراحَتِ ٱلحُموعُ تُراقِبُ صامِتَةً ذٰلِكَ ٱلفارِسَ ٱلمجْهولَ وَهُوَ يَرْفَعُ رُمْحَهُ إشارَةَ ٱلتَّحِيَّةِ وَٱلتَّحَدّي ، ثُمَّ يَنْقَضُّ بِفَرَسِهِ نَحْوَ ٱلمَلِكِ . تَصادَمَ ٱلفارِسانِ تَصادُمًا رَهيبًا حَطَّمَ كِلا ٱلرُّمْحَيْنِ ، غَيْرَ أَنَّهُما كِلَيْهِما ثَبَتا على فَرَسَيْهِما . وَٱسْتَدارَ كُلٌّ مِنَ ٱلفارِسَيْنِ وَتَناوَلَ رُمْحًا آخَرَ ، ثُمَّ كَرّا ، أَحَدُهُما عَلى ٱلآخَرِ ، ثُمَّ كَرّا ثانِيَةً . وَكانَ ٱلتَّصادُمُ في كُلِّ مَرَّةٍ قَوِيًّا قُوَّةً لَمْ يَكُنْ لِيَصْمُدَ مَعَها غَيْرُ هٰذَيْنِ ٱلفارِسَيْنِ ٱلجَبّارَيْنِ .

عِنْدَها تَمْتَمَ السّيرُ كاي : «ما أَعْظَمَهُ مِنْ فارِسٍ !»

فأجابَ السّيرُ أُوِونُ : «نَعَمْ ، ما أَعْظَمَهُ ! وَلٰكِنْ مَنْ تُراهُ يَكونُ ؟»

وَهَتَفَ السّيرُ بِدِفِير بِتَلَهُّفٍ : «سَنَعْرِفُ ذٰلِكَ قَريبًا ، فَها هُما يَتَبارَزانِ بِالسَّيْفِ راجِلَيْنِ . وَلَيْسَ لِلْمَلِكِ نَظيرٌ في هٰذا ٱلمَجالِ ، لَقَدْ عَرَفَهُ ٱلحائِنُ بِيسور ذٰلِكَ في ٱلمَعْرَكَةِ ٱلَّتي ماتَ فيها .»





ولكنْ شَتّانَ ما بين هذا الفارسِ وَبَيْنَ بلينور ! إنَّ لَهُ قُوّةَ آرْثر نَفْسِهِ وَسُرْعَةَ تحرُّكِهِ. واحْتَدَمَتِ المُبارَزَةُ فَراحَ الفارسانِ يَتبادَلانِ الضَّرَباتِ الجَبّارَةَ وَيَجولانِ مِنْ جانِبٍ في المَيْدانِ إلى الجانِبِ الآخَرِ وَفَجْأَةً رَفعَ المَلِكُ آرْثر سَيْفَهُ فَوقَ رَأْسِهِ . وَقدْ مَرَّ أَمامَ المَقْصورةِ المَلَكيَّةِ ، وَصاحَ وَهُوَ يَلْهَثُ :

«كَفى ! كَفى ! نَحْنُ ، الاثْنَيْنِ ، مُتكافِئانِ !» وَحينَ رَفَعَ الفارِسُ المَجْهولُ سَيْفَهُ فَوْقَ رَأسِهِ هُوَ الآخَرُ ضَجَّ المَيْدانُ بِهُتافٍ عَظيمٍ . وَتابَعَ المَلِكُ كَلامَهُ بَعْدَ هُدوءِ الهُتافِ ، فَقالَ :

«لَيْسَ مِنَ الحَقِّ في شَيْءٍ أَنْ أَكونَ ، وَأَنا المَلِكُ ، فارِسَ المَلِكَةِ في هٰذِهِ المُبارَزاتِ . فهذا الشَّرَفُ مِنْ نَصيبِكَ أَيُّها السَّيِّدُ الفارِسُ ، وَلَقَدْ نِلْتَهُ عَنْ جَدارَةٍ . وَلٰكِنْ أَرْجوكَ أَوَّلًا أَنْ تُعَرِّفَنا بِنَفْسِكَ »

نَزَعَ الفارِسُ المَجْهولُ خُوذَتَهُ فإذا هُوَ شابٌّ وَسيمٌ في عُمْرِ المَلِكِ نَفْسِهِ .

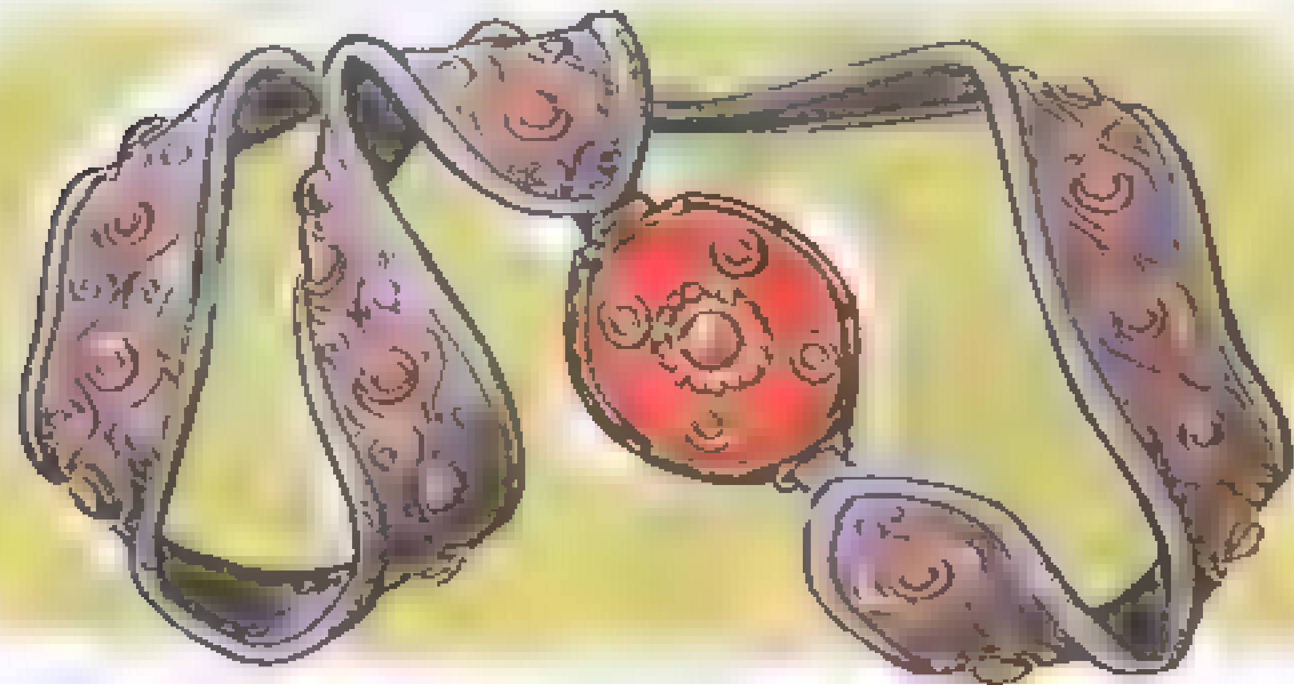
رَكَعَ الفارِسُ أَمامَ المَلِكِ ، وَقالَ : «سَيِّدي ، أُدْعَى لانْسِلُت البُحَيْرِيَّ ، وَأَنا واحِدٌ مِنْ رَعاياكَ مِنْ مُقاطَعَةِ بريتانية الواقِعَةِ عَبْرَ البَحْرِ .»

فَسَأَلَهُ المَلِكُ : «وَما الَّذي جاءَ بِكَ إلى هُنا ؟»

أجابَهُ لانْسِلُت : «سَمِعْتُ بِرِفْقَةِ الفُرْسانِ الَّتي أَنْشَأَتْها جَلالَتُكَ ، وَقَدْ قَدِمْتُ لِأَحْظى مِنْكَ بِلَقَبِ فارِسٍ وَبِمَقْعَدٍ مِنْ مَقاعِدِ المائِدَةِ المُسْتَديرَةِ .»

فَأَجابَ آرْثر : «لَكَ الأَمْرانِ ، وَلَقَدْ نِلْتَهُما عَنْ جَدارَةٍ .» ثُمَّ مَدَّ سَيْفَهُ وَلَمَسَ كَتِفَ الفارِسِ الرّاكِعِ ، وَقالَ : «انْهَضْ أَيُّها السّير لانْسِلُت البُحَيْرِيُّ ، وَقابِلِ المَلِكَةَ الَّتي أَنْتَ فارِسُها .»

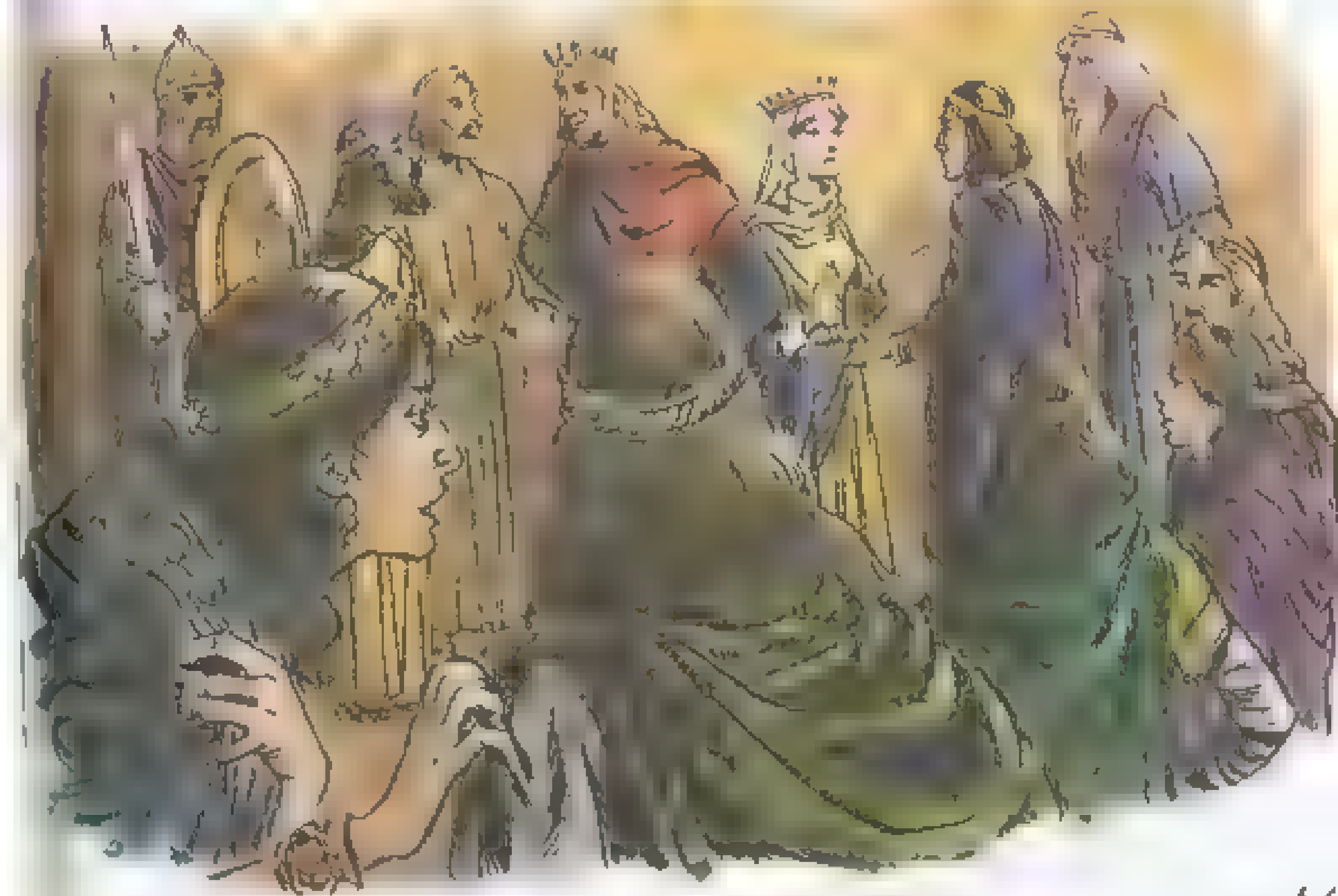
وَنَظَرَ السّير لانْسِلُت إلى المَلِكَةِ جنيفر وَهِيَ تَبْتَسِمُ وَتَضَعُ وِشاحَ البُطولَةِ حَوْلَ كَتِفِهِ فَرَأى أَنَّها أَجْمَلُ امْرَأَةٍ وَقَعَتْ عَلَيْها عَيْناهُ . وَحَدَّثَهُ قَلْبُهُ بِأَنَّهُ لَنْ يُحِبَّ امْرَأَةً سِواها ، وَأَقْسَمَ في سِرِّهِ أَنْ يَخْدِمَها حَياتَهُ كُلَّها .



وَلَمْ يُلاحِظِ ٱلنَّظْرَةَ ٱلطَّوِيلَةَ ٱلَّتِي تَبادَلَها ٱلفارِسُ ٱلشّابُّ ٱلوَسيمُ وَٱلمَلِكَةُ ٱلجَميلَةُ إِلّا شَخْصانِ ، أَحَدُهُما ميرْلِن ٱلَّذي أَقْلَقَتْهُ تِلْكَ ٱلنَّظْرَةُ دونَ أَنْ يَدْرِيَ لِذٰلِكَ سَبَبًا ، وَٱلآخَرُ مورْجان لو فاي ٱلَّتي كانَتْ في وَسَطِ ٱلجُموعِ وَرَأَتْ عَلامَةَ ٱلحُبِّ وَقَدِ ٱرْتَسَمَتْ عَلى وَجْهِ لانْسِلُت .

هَمَسَتْ مورْجان في أُذُنِ وَلَدِها مورْدْرِد هَمْسَةَ ٱلانْتِصارِ قائِلَةً : «عَرَفْتُ ٱلسَّبيلَ إِلى سُقوطِ آرْثَر !»

وَبَحَثَ ميرْلِن ذٰلِكَ ٱلمَساءَ عَنِ ٱلمَلِكِ آرْثَر فَقيلَ لَهُ إِنَّهُ في خَيْمَتِهِ يَرْتاحُ مِنْ عَناءِ ٱلمُبارَزاتِ . فَعَبَرَ ٱلمَيْدانَ ٱلَّذي كانَ لا يَزالُ نابِضًا بِٱلحَياةِ يَحْتَفِلُ ٱلنّاسُ فيهِ وَيَمْرَحونَ عَلى ضَوْءِ مَشاعِلِ ٱلصَّنَوْبَرِ .



اِبْتَسَمَ ٱلمَلِكُ في وَجْهِ ميرْلِن إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ خَيْمَتَهُ ، وَقالَ لَهُ : «آه يا صَديقي ٱلعَجوز ، تَراني ٱليَوْمَ أَتَفَجَّعُ عَلى صَديقٍ آخَرَ لَمْ يَمْتَدَّ بِهِ ٱلعُمْرُ . اُنْظُرْ إِلَيْهِ !» وَحَمَلَ آرْثَر سَيْفَهُ وَأَراهُ لِميرْلِن ، وَقالَ : «اُنْظُرْ إِلى صَديقي ٱلَّذي ٱنْتَزَعْتُهُ مِنَ ٱلصَّخْرَةِ . أَلا تَرى كَيْفَ صارَ مَحْنِيًّا مُثَلَّمًا لا فائِدَةَ مِنْهُ ؟ أَلَيْسَ مُحْزِنًا أَنَّ هٰذا ٱلسَّيْفَ ٱلَّذي جَعَلَ مِنّي مَلِكًا لَمْ يَعُدْ يُناسِبُني أَنْ أَحْمِلَهُ وَأَتَقَلَّدَهُ ؟»

فَأَجابَ ميرْلِن : «ٱلسَّيْفُ لَمْ يَجْعَلْ مِنْكَ مَلِكًا ، يا سَيِّدي ، وَلٰكِنَّهُ أَظْهَرَ أَمامَ ٱلآخَرينَ حَقَّكَ بِتَوَلّي ٱلعَرْشِ . لَقَدْ أَدّى هٰذا ٱلسَّيْفُ مُهِمَّتَهُ . فَإِذا رَغِبْتَ في أَنْ تُرافِقَني ٱلآنَ فَسَوْفَ أَدُلُّكَ عَلى سَيْفٍ يَليقُ بِكَ .»



لَبِسَ آرْثر رِداءً طَويلًا فَوْقَ بِزَّةِ ٱلزَّرَدِ وَتَبِعَ ميرْلِن ، دونَ أَنْ يَلْحَظَهُما أَحَدٌ مِنَ ٱلجُموعِ .

وَراحَتْ أَضْواءُ بَلْدَةِ كامِلوت وَأَصْواتُها تَخْفُتُ مِنْ خَلْفِهِما . وَٱنْتَهَتْ بِهِما ٱلْمَمَرَّاتُ ٱلَّتي سَلَكاها إِلى غاباتٍ وَأَماكِنَ بَرِّيَّةٍ لَمْ يَكُنْ آرْثر قَدْ رَآها مِنْ قَبْلُ . وَوَجَدا أَنْفُسَهُما ، عَلى حينِ غِرَّةٍ ، عَلى حافَةِ بُحَيْرَةٍ واسِعَةٍ . وَكانَ شَيْءٌ مِنَ ٱلضَّبابِ يَعْلو ماءَ ٱلْبُحَيْرَةِ ٱلسّاكِنَ . لَمْ تَكُنِ ٱلطُّيورُ تُغَرِّدُ فَوْقَ ٱلأَشْجارِ أَوْ تَطيرُ حَوْلَ جَوانِبِ ٱلْبُحَيْرَةِ . وَلَمْ يَكُنْ مِنْ عَلامَةٍ تَدُلُّ أَنَّ ٱلإِنْسانَ مَرَّ مِنْ هُناكَ غَيْرُ قارِبٍ مُتَوَقِّفٍ عَلى طَرَفِ ٱلْبُحَيْرَةِ . أَحَسَّ آرْثر بِرَعْشَةٍ ، فَرَدَّ طَرَفَ عَباءَتِهِ حَوْلَ كَتِفَيْهِ .



أَضْفَى ٱلسُّكونُ جَوًّا سِحْرِيًّا غَريبًا . فَقالَ آرْثر بِشَيْءٍ مِنَ ٱلرَّهْبَةِ :
«أَيُّ مَكانٍ هٰذا ؟»

لَمْ يُجِبْ ميرْلِن بَلْ راحَ يُحَدِّقُ في ٱلْماءِ . وَحينَ كانَ آرْثر يَهُمُّ بِإِعادَةِ سُؤالِهِ مَدَّ ٱلسّاحِرُ ٱلعَجوزُ يَدَهُ فَجْأَةً مُشيرًا إِلى بُقْعَةٍ ، وَقالَ :
«أُنْظُرْ هُناكَ !»

تَطَلَّعَ آرْثر إِلى حَيْثُ أَشارَ ميرْلِن ثُمَّ ٱرْتَدَّ إِلى ٱلْوَراءِ في ذُهولٍ إِذْ بَرَزَتْ مِنْ وَسَطِ مِياهِ ٱلْبُحَيْرَةِ ، وَٱلْمَكانُ مُتَأَلِّقٌ بِحُزْمَةٍ مِنْ شُعاعِ ٱلْقَمَرِ ، ذِراعٌ تَرْفَعُ سَيْفًا .



وَقالَ ميرْلِن : «ذاكَ هُوَ سيفُكَ ، فتناوَلْهُ الآنَ ، لِأَنَّهُ سيكونُ لكَ ما دُمْتَ حيًّا .»

فرَكِبَ الملِكُ الشّابُّ القارِبَ وَجذَّفَ في عَجلَةٍ في اتِّجاهِ وَسَطِ البُحيْرةِ . ثُمَّ انحَنى وَتناوَلَ السَّيْفَ والقِرابَ بِرِفْقٍ . وَاختَفَتِ الذِّراعُ في التَّوِّ والسّاعةِ تحْتَ المِياهِ .

حمَلَ آرْثر السَّيْفَ وَأَراهُ إلى ميرْلِن . أَرادَ أَنْ يَعْرِفَ كَيْفَ وَصلَ السَّيْفُ إلى البُحيْرةِ ، وَلكِنَّ العجوزَ لَمْ يقُلِ الكثيرَ : «اِسْمُ هذا السَّيْفِ البَتّارُ ، وَلْتكُنْ جَديرًا بِهِ . حافِظْ عَلى القِرابِ كذلِكَ ، فَإِنَّهُ يُبْعِدُ الجِراحَ القاتِلَةَ .»

وَأَخذَ آرْثر يُقلِّبُ السَّيْفَ بيْنَ يدَيْهِ فرأى أنَّ على كُلِّ جانِبٍ مِنْ جانِبَيْ نَصْلِهِ عِبارةً ، الأولى تقولُ : «اِحْتَفِظْ بي !» وَالثّانِيَةُ : «اِرْمِني !» .

وَقالَ ٱلْمَلِكُ آرْثر في دَهْشَةٍ : «ما مَعْنى هٰذا ؟ أَنْ أَحْتَفِظَ بِهٰذا ٱلسَّيْفِ ٱلْخَطيرِ فَهٰذا ما أنا فاعِلُهُ ، وَأَمّا أَنْ أَرْمِيَهُ فَهٰذا ما لَنْ يَكونَ أَبَدًا .»

فَأَجابَ ميرْلِن : «بَلْ سَيَكونُ ذٰلِكَ حينَ يَحْضُرُكَ ٱلْمَوْتُ ، فَتَعودُ إِلى هٰذِهِ ٱلْبُحَيْرَةِ وَتَرُدُّ ٱلسَّيْفَ إِلى مَكانِهِ .»

وَبَدَتْ طَريقُ ٱلْعَوْدَةِ أَقْصَرَ ، وَمَعَ ذٰلِكَ فَعِنْدَما وَصَلا إِلى مَيْدانِ ٱلْمُبارَزَةِ كانَتْ طَلائِعُ ٱلْفَجْرِ قَدْ أَخَذَتْ تَنْتَشِرُ فَوْقَ أَبْراجِ كامِلوت . وَعَلَتْ أَصْواتُ ٱلْأَبْواقِ ، فَجْأَةً ، مِنْ فَوْقِ ٱلْأَسْوارِ وَٱنْدَفَعَتْ ثُلَّةٌ مِنَ ٱلْفُرْسانِ ، في مُقَدِّمَتِها السِّير كاي وَالسِّير بِدِفير ، مُصَلْصِلَةً عَبْرَ ٱلْجِسْرِ ٱلْمُتَحَرِّكِ في ٱتِّجاهِ ٱلْقادِمَيْنِ .

وَحينَ ٱلْتَأَمَ جَمْعُ ٱلْفُرْسانِ ذٰلِكَ ٱلْيَوْمَ حَوْلَ ٱلْمائِدَةِ ٱلْمُسْتَديرَةِ قالَ السِّير كاي لِلْمَلِكِ : «خِفْنا عَلَيْكَ إِذْ لَمْ نَجِدْكَ في خَيْمَتِكَ ، بَيْنَما كانَ سَيْفُكَ ٱلْمُثَلَّمُ هُناكَ .»

فَوَقَفَ ٱلْمَلِكُ وَٱسْتَلَّ ٱلْبَتّارَ مِنْ قِرابِهِ ، وَرَفَعَهُ وَصاحَ : «إِنَّ عِنْدي سَيْفًا غَيْرَهُ ٱلْآنَ ! وَلْيَبْقَ هٰذا ٱلسَّيْفُ مَسْلولًا ما دامَ بَيْنَ ٱلنّاسِ مَنْ يَحْتاجُ إِلى عَوْنٍ وَحِمايَةٍ .»

فَهَبَّ فُرْسانُ ٱلْمَلِكِ عِنْدَئِذٍ هَبَّةَ رَجُلٍ واحِدٍ واقِفينَ ، وَتابَعَ ٱلْمَلِكُ خِطابَهُ فَقالَ : «اِمْضوا ٱلْآنَ ، كُلٌّ في طَريقِهِ ، واحْمِلوا مَعَكُمْ حَيْثُما حَلَلْتُمْ شَرَفَ ٱلرِّفْقَةِ ٱلَّتي تَعاهَدْنا عَلَيْها وَٱلْيَمينِ ٱلَّتي أَقْسَمْناها . وَمَوْعِدُنا بَعْدَ عامٍ ، فَنَلْتَقي هُنا وَنَتَبادَلُ أَخْبارَ ٱلشَّهامَةِ وَٱلْفُروسِيَّةِ .»

وَقَفَ ٱلْمَلِكُ آرْثر ، وَوَقَفَ ميرْلِن إِلى جِوارِهِ ، يُراقِبُ رَحيلَ ٱلْفُرْسانِ ، وَيَتَساءَلُ عَنِ ٱلْمُغامَراتِ ٱلَّتي سَيَخوضُها كُلٌّ مِنْهُمْ قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ مَوْعِدُ لِقائِهِ بِهِمْ .






سلسلة «حكايات وأساطير»

Series 740 Arabic
